العدد 2

مع الشباب

MA ASHABAB

مجلة فصليّة تصدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ بيروت
العدد الثاني ــ السنة الأولى ــ ربيع 2018م ـ 1439هـ

لِمَ الدّين؟

- رحلة البحث عن الدين
- الدين والتحديات الفكرية عند الشباب
- الدين سعادة لا بؤس
- الدين أمن لا خوف
- الدين: الشباب هم قوّة التغيير الاجتماعي
- قائد النفس البشرية

مقابلة مع العلامة
محمد حسين الصغير

جامعيات
الاختصاص الجامعي احتار ولا تختار

قصّة قصيرة
واستقرّت روحي

- فيلم بروميثيوس:البحث عن مبدئنا قد يؤدي إلى نهايتنا
- مؤسِّس علم الكيمياء جابر بن حيّان
- كيف تصبح شخصية مبادرة في سبع خطوات
- تكنولوجيا الواقع المُعزّز AUGMENTED REALITY

"إنّ أحبّ الخلائق
إلى الله عزّ وجلّ
شابٌ حَدث السنّ في صورةٍ حسنة،
جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته،
ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته،
يقول: هذا عبدي حقًّا".

رسول اللّه صلى الله عليه وآله

تصوير: زهراء ديراني

بوصلة

خدمة العقل

في هذا العصرِ الثقافيّ الجديد، لم تعد الكتابة شأنًا خاصًا بفئةٍ معينة من الكتّاب والمثقّفين. فبعد شيوع منصاتِ النشر المجانيّة، أضحى عدد الكتّاب بعدد صفحات فيسبوك وتويتروالمدوّنات وغيرها.

في المقابل، لا تنبِئ إحصاءاتُ معدّلاتِ القراءةِ في الوطن العربيّ عن كثافة قرّاءٍ بحجمِ كثافة الكُتّاب المُلاحَظة. فما الحال والكتّاب الجيّدون هم قرّاء نهمون، والقراءة هي بمثابة «الوقود لمحرّك اللكتابة»!

وكما لكلّ صنائعيٍّ عُدّة، فعُدّةُ الكاتب المطالعة. مضافًا إليها التفكيرُ المزمن، الموجّهُ بالخيالِ والوجدانِ والإرادة! والحقّ، أنّ المطالعة بشغفٍ حتى الولَه، ليست كما المطالعة بلا مبالاة. وبدون الجوعِ والعطشِ إلى المعرفة، لن يقبِل أحدُنا على مائدةِ المعارف والعلوم.

لكن، هل يكونُ عزوفُ الشباب عن المطالعةِ اليوم سببُه سهولةُ الحصول على المعلومة؟ إذ يكفي الشابّ أن يطبَع بِضع كلماتٍ مفتاحيّةٍ على غوغل، حتى يحضُر على مائدته آلافٌ من الوجبات المعلوماتيّة بل الملايين منها، تفيضُ عن قدرةِ حضورِها في ذهنه.

إلى ذلك، إذا كانت الكتابةُ ضربٌ من التفكير المزمن، فكيف سنعالجُ عمليّات التفكير، وأين ستختمرُ الأفكار لتتولّد عنها أفكارًا أخرى، والمعلومة حاضرةٌ في خوارزميّات غوغل وليست في ذهن الكاتب؟

هذه التأملاتُ وتلك الأسئلة،
جالت في خاطري كلّما واجهنا صعوبةً في استكتابِ
أقلامٍ شابّة، لمجلّتنا الشابّة. إذ كيف يمكن لعصر المعلومات
الذي نعيش فيه، والذي يُطلق عليه في الأوساط المتخصصة "مجتمع
المعلومات" أن لا يكون منتِجًا لكتّاب مبدعين كما لم تُنتِجهُ قبلَه مجتمعاتُ
العصور السابقة؟

هل قلتُ كتّابًا مبدعين؟! ما الذي يمكن أن يكون دافعًا للإبداع، بل ما حاجةُ الشباب إليه؟

الواقع أنّ تاريخَ الإبداعِ الإنسانيّ أهمُّ بكثير من تاريخِ الإنسان ذاتِه. فالإنسان قد يعيشُ
حتى المئة في أحسن الأحوال، ثمّ يموت. بينما تعيشُ أعمالُه قرونًا.

في الكتابة، ثمّة من يكتب لتحسين الواقع، وثمّة من يكتب لكثرة انطباعاتِه، إذ لا يستطيع
السكوت عما يراه ومما يعانيه. وثمّةَ من يُخرج لك الفلسفةَ من رحم الرفاهيّة. وثمَة من
هو مدفوعٌ بجذبةٍ أسمى، وهي خدمة الإنسان! يقال إنّ سعادة المرء في خدمة الناس، فما
أسعدها من خدمةٍ خدمةُ العقل!

((اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)). واكتب رسالتَك من حبرِ نفسِك ومن حبرِ
الناسِ حولَك. ولا يجُفَنَّ قلمُك قبلَ أن يترك فيك وفي القارئ نشوةً وعِبرة.

سكرتير التحرير
زينب عقيل

مجلة الشباب
MA ASHABAB

مجلــة فصليّة تصـــدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ بيروت
العدد الثاني ـ السنة الأولى ـ 1439هـ ـ ربيع 2018

رئيس التحرير
سامر توفيق عجمي

سكرتير التحرير
زينب عقيل

التصميم والإخراج الفني
علي ميرحسين

الهيئة الاستشارية
نبيل سرور
جهاد سعد
حسن رضا

أسرة المجلة
محمد حميد
مريم ميرزادة
فاطمة سلمان
فرح الحاج دياب
زهراء ديراني
حسين عمّار
خضر فرحات
علي زين
هادي قبيسي
محمد تهامي ذكير
علي الهادي

لِمَ الدِّين؟

- رحلة البحث عن الدين
  سامر توفيق عجمي
- الدين والتحديات الفكرية عند الشباب
  الشيخ حسين زين الدين
- الدين سعادة لا بؤس
  د فوزي العلوي
- الدين أمن لا خوف
  كامل كمال
- الدين: الشباب هم قوّة التغيير الاجتماعي
  جهاد سعد
- قائد النفس البشرية
  خاتم بن عيسى

رحلة البحث عن الدين

حواراتٌ عديدةٌ خضت غمارها مع غير المتديّنين واللاأدريين، تمحورت حول قضايا فلسفيةٍ ودينيةٍ متنوعة، ثمة نقطة كانت تلفت نظري في كلّ نقاش معهم عندما أطرح عليهم السؤال التالي: هل تنكرون حاجتكم إلى الدين نتيجة قيامكم ببذل جهدٍ في البحث والتفتيش عن أجوبةٍ تشغل عقل الإنسان وتقلق فكره حول الخالق والحياة والموت والمصير... إلخ؟ أم أنكم اتخذتم هذا الموقف بفعل عوامل شخصية لا علاقة لها بتنقيبكم عن الحقيقة؟

كان جوابهم يأتي عاصفًا بصورة استفهامٍ يستنكرون فيه ضرورة البحث عن الدين، قائلين: لماذا نُتعب أنفسنا في البحث عن الدين ونقضي جزءًا من عمرنا في التفتيش عنه في حين أنه يمكننا أن نقضي وقتنا في أمورٍ تعود بالنفع الملموس واللذة المحسوسة على حياتنا؟!

> لمست أن **موقف** أكثر غير المتدينين من الدين سببه دوافع ذاتية ومصالح شخصية ولا علاقة له بالمعرفة والموضوعية

لمست أن موقف أكثرهم من الدين سببه دوافع ذاتية ومصالح شخصية ولا علاقة له بالمعرفة والموضوعية، لم يكن قرارهم قد تمّ اتخاذه بفعل بحثٍ وتفتيشٍ عن الحقيقة، وهم بسلوكهم هذا يناقضون نداء الطبيعة البشرية، فهل يمكن لعاقلٍ إنكار أن الإنسان معجونٌ بأصل خلقته بغريزة حبّ الاستطلاع عن الحقيقة؟

ألم يعش هؤلاء عندما كانوا أطفالًا حالة الإكثار من السؤال؟! كم مرةً - بدافع من فضول الاستشكاف - بادروا أهلهم بالاستفهام عن كلّ ما يحيط بهم من أشياء وما يختبرونه من مواقف وما يسمعون عنه من أفكار؟!

ألم يسمعوا في البيئة التي يتحركون داخلها، أو عبر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، أو في المتون التي قرؤوها في المدارس والجامعات، أو القصص والروايات التي طالعوها... عن أنّ الأعمّ الأغلب من البشر هم متديّنون؟ ألم يخطر - حينها - في بالهم أن يسألوا أنفسهم: هل جميع هؤلاء البشر بمن فيهم من عقلاء وعلماء وفلاسفة وأدباء وشعراء وقادة... مخطئون في اعتقادهم؟ ألا يحتملون - ولو على مستوى الاحتمال - أن يكون الحق مع المتديّنين؟

كيف استطاعوا أن يحجبوا غريزة حبّ المعرفة في البحث عن

الحقيقة؟! كيف قاوموا إغراء البحث عن الدين من أنه هل هو حقيقة أم خيال؟! كيف تمكنت عقولهم من أن تقف صامتة عن إثارة الاستفهامات حول القضايا المصيرية في الحياة؟

لكن الحقيقة أنهم لا يمكنهم أن يحجبوا النداء الداخلي لفطرة عشق المعرفة الذي يلحُّ عليهم بقوةٍ للبحث عن الجواب؛ خصوصًا في لحظات الخلوة مع النفس، أو التأمل قبل النوم، أو أوقات الأزمات والمصائب التي تعصف بهم، لأنّ هذا النوع من شغف البحث هو الذي يبني تصورًا واضحًا عند الإنسان عن الخلق والحياة والموت... فيطرد هواجس الجهل، ويرفع الشعور النفسي بالقلق الوجودي الذي يتركه فراغ البحث عن الحقيقة.

فالبحث عن الدين هو تنقيب عن الحقيقة، وتلبيةٌ لنداء الطبيعة البشرية العاشقة للاستطلاع، هو تحقيقٌ للشعور النفسي بالاستقرار والهدفية في الحياة.

وإذا حفرنا أعمق من ذلك في النفس الإنسانية نلمس بالوجدان أن الشعور الديني مجبولٌ داخل كلّ واحدٍ منّا في عرض الميول الوجدانية الأخرى كحبّ المعرفة وعشق الجمال والشعور بالخير الخلقي... وهذا الشعور الديني هو الذي يدفع الإنسان نحو الالتزام الأخلاقي أمام قوةٍ عظمى في هذا الكون لها على الإنسان حقّ الطاعة.

وقد اعترف كثير من علماء النفس بتجذّر الانجذاب نحو الإله في وجدان الإنسان[1]، وكذلك أثبتت الدراسات الأنثربولوجية وأبحاث تاريخ الأديان وعلم الآثار والحفريات... تأصُّل الشعور الديني في حياة الحضارات البشرية كافة.

يقول مؤسس علم النفس التحليلي كارل يونج - وهو تلميذ سيجموند فرويد: «إن انعدام الشعور الديني يسبّب كثيرًا من مشاعر القلق والخوف من المستقبل والشعور بعدم الأمان والنزوع نحو النزعات المادية البحتة، كما يؤدي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى هذه الحياة ويؤدي ذلك إلى الشعور بالضياع»[2].

وورد في معجم لاروس للقرن العشرين: «إن الغريزة الدينية مشتركةٌ بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجيةً، وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية»[3].

وإذا تأمّلنا في وجداننا الإنساني، نلمس أنّ كلًّا منّا يحسّ في أعماق ذاته أن ضميره الأخلاقي يُلزِمه بضرورة تقدير المُحسِن وشكر المُنعِم، لأن شكر المنعم يجعل النفس تشعر بالراحة أمام دَيْن الآخرين في عنقنا، ويمنحها السعادة، والإنسان بطبعه باحثٌ عن السعادة وطالبٌ لها، وكما يعبّر أبو نصر الفارابي: «إن السعادة هي غاية ما يتشوقها كل إنسان»[4].

ولا شك في أن خروجنا من الفراغ العدمي إلى نور الوجود هو نعمة بحدّ ذاته، فضلًا عمّا نتمتع به من مواهب معنويةٍ أو ماديةٍ مختلفة، كالعقل، وقابلية التعلّم، والإرادة، والقدرة، والشعور بالحبّ، والتنفّس، وإمكانية بلع الطعام والشراب، والإنجاب... إلخ.

وكم منّا لا يهدأ له بال، ولا يطيب له عيش، ولا ينعم بالنوم، حتى يعرف من الذي أنعم عليه بقضاء دين، أو دافع عنه، أو توسط لحلّ مشكلة من مشاكله، كي يشكره ويبدي له كلّ التقدير والاحترام جزاءً وفاقًا.

1- يراجع: دراز، محمد عبد الله، الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، البحث الثالث، «في نزعة التدين ومدى أصالتها في الفطرة»، ص 79 - 101.

2- نقلًا عن: العيسوي، عبد الرحمن، دراسات في تفسير السلوك الإنساني، ص 193.

3- نقلًا عن: دراز، المصدر السابق، ص 82.

4- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد، التنبيه على سبيل السعادة، ص 177.

إذا كان هذا هو الحال في نِعمٍ بسيطةٍ مقارنةً بمجموع النعم والمواهب التي تحيط بالإنسان، أفلا يقضي الضمير الأخلاقي أن يقابَل معطيها بالتقدير والإحسان والشكر؟؟ ألا يشعر كلّ إنسان من أعماقه بأنه مُلزَم بالبحث عن المُنعم والواهب لشكره وإبداء كلّ التقدير والاحترام له؟؟ والبحث عن الدين ليس إلا هذا المعنى، هو بحثٌ عن ما يحقق راحتي النفسية وسعادتي في شكر الواهب والمنعم.

وكذلك عند تفحّص ذواتنا نشعر أن ثمة شحنة داخلية تحرّكنا نحو دفع الضرر عن أنفسنا، فيسعى كلّ واحد منّا إلى الخلاص من أي عاملٍ يشكّل تهديدًا لحياته، أو يمكن أن يسبّب له الألم والعذاب، فإذا كان الإنسان لا يعرف السباحة يحذر من النزول إلى الأماكن العميقة في البحر أو النهر، وإذا رأى النار المشتعلة تقترب منه يبتعد عنها حذرًا من أن تحرقه، وإذا شاهد سلكًا كهربائيًا يحذر من لمسه خوفًا من التكهرب... إلخ من المواقف التي يعاينها الإنسان في حياته اليومية.

وقد طرق مسامعنا من قبل أشخاص يوثق بصدقهم حتى من غير المتدينين أنفسهم[1]، أن الإنسان عليه أن ينتمي إلى دين الحق، وأن الموت ليس طريقًا إلى الفناء والعدمية، بل هو طريق إلى تجدد الوجود واستمرار الحياة، وأن طبيعة الحياة التي يعيشها الإنسان بعد الموت متعلقةٌ بخياراته الدينية في هذه الحياة الأولى، فإن لم يكن متدينًا سيواجه لونًا من العقاب الشديد المستمر دون انقطاع لا إلى نهاية.

> تقتضي **الموضوعية** أن يعيش الإنسان في دائرة الشكّ أو الاحتمال تجاه الحياة بعد الموت الأمر الذي يحرّكه للبحث عن الحقيقة الدينية.

والإنسان العقلاني في تفكيره المنجذب للبحث عن الحقيقة، إذا لم يملك دليلًا على إثبات الحياة بعد الموت، فهو أيضًا لا يملك دليلًا على نفي الحياة بعد الموت – فكما أن إثبات شيء لشيء يحتاج إلى دليل، فكذلك سلب شيء عن شيء يحتاج إلى دليل، ولا دليل على سلب الحياة بعد الموت، فعدم الدليل ليس دليلًا على العدم –، وبناءً عليه تقتضي الموضوعية أن يعيش الإنسان في دائرة الشكّ أو الاحتمال تجاه الحياة بعد الموت وما تنطوي عليه من مساءلةٍ ومحاسبةٍ على طبيعة الحياة التي عاشها هنا، وهذا الاحتمال ينبغي أن يحرّكه للبحث عن الحقيقة الدينية، إذ لا طريق إلى الخلاص ودفع الضرر المحتمل بعد الموت إلا بالبحث عنها.

رئيس التحرير

سامر توفيق عجمي

1– نقلت لنا كتب التاريخ والأحاديث أنه عندما جاء أبو لهب وقريش إلى الرسول صلى الله عليه وآله، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد». البخاري، صحيح البخاري، ج 6، ص 17.

الدين و التحديات الفكرية عند الشباب

الشيخ حسين زين الدين

«الدين والتحديات الفكرية عند الشباب» عنوانٌ يحتاج إلى تفكيك، إذ إنّ واحدةً من أهم أزماتنا الثقافية هي أزمة المصطلح.

عندما نتحدث عن الدين نتحدث عن منظومةٍ كاملةٍ وليس عن بُعدٍ طقوسي، فالدين يشمل البُعد النظري والرؤية الكونية، وأسسها الفلسفية والبرهانية، وكذلك المرجعيات المعرفية، ويشمل البُعد العملي أي المنظومة التشريعية والأخلاقية ونظام العلاقات العامة. ووظيفة الدين في بُعدَيه هي صناعة الإنسان. والإنسان وظيفته تسخير الطبيعة. وليس الدين هو الواسطة بين الإنسان والطبيعة، إنما الإنسان هو الواسطة بين الدين والطبيعة.

> كلّما اقترب الإنسان من فطرته اقترب نحو **التعبد** أكثر، وكلما ابتعد عن **فطرته** اقترب من تأليه نفسه أكثر.

أما الفكر، فبحسب التعريف المنطقي، هو حركة العقل بين المجهول والمعلوم. وكلما كان المخزون المعرفي للمعلوم كبيرًا، اتسعت دائرة الخيارات في عملية التفكير. والواقع أن السبب الرئيس للتقليد هو انعدام المعطيات المخزونة في الوعاء المعرفي، بحيث يصبح الإنسان عبدًا لما ترى عليه أو شاهده، أو خائفًا من نيل العقوبة بمخالفته.

وعليه، فإنّ أول شرط من شروط التفكير، ليس ايجاد دينامية الحركة بين المعلومات، لأنها أمرٌ تكويني. فبمجرد أن أواجه أمرًا مجهولًا سيتحرك عقلي وذهني بشكلٍ تلقائي نحو الملفّات المخزونة. وإذا ضاقت دائرة المعطيات في هذه الملفّات، ضاقت حريتي في التفكير. وبالتالي، فإن الفكر سيكون حرًا بمقدار سعة المعرفة.

هذا المخزون المعرفي قد يكتسبه الإنسان من خلال السمع والابصار والأفئدة، كما ينص القرآن الكريم[1]. والأفئدة قد تتضمّن الميول الفطرية والمدركات الأولية التي تشكّل الاستعدادات القبلية والمعايير السوية كعدم اجتماع النقيضين، حب الخير، حب الحق، حب الجمال، طلب الأمن والطمأنينة، حب الاستطلاع والبحث، والشعور الديني، الذي يصرّ الشيخ مرتضى مطهري على أنه معطى فطري. وهـــــذا الشعور الديني هو

1- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، سورة النحل، الآية 78.

الميل نحو العبادة، والميل نحو الخضوع، لذا كلما اقترب الإنسان من فطرته اقترب نحو التعبّد أكثر، وكلما ابتعد عن فطرته اقترب من تأليه نفسه أكثر.

نموذجان طرحهما لنا القرآن الكريم: فرعون الذي هو ممسوخ الفطرة، والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله نبي الفطرة. هذا الفرق بين الاثنين يكمن في أن النبي صلى الله عليه وآله أدرك فقره لشدّة علمه. أما فرعون فقد غفل عن فقره لشدة تكبره، فليس الفقر هو النقص، إنما الجهل به هو النقص.

وأما الشباب، فهو العمر الذي يتميّز بخصالٍ ثلاث: الأولى، الطاقة ومنها تأتي الحيوية والبُعد الثوري. والثانية، الأمل. أما الثالثة، فهي الابداع.

واذا أردنا أن نبحث عن التحديات التي تواجه الشباب يجب أن نبحث عن التحديات التي تواجه هذه الأركان، ولماذا يتمرّد؟ ولماذا يرفض؟ ولِمَ يريد الاستقلال؟ والجواب هو: إما أننا لا نواكبه في الحركة، وإما أننا نمنعه من أن يحلم، وربما نضيّق عليه فرص الإبداع.

تحدّيات علاقة الشباب بالدين:

التحدي الأول: هو قصور التربية التقليدية عن إشباع الحاجات المعرفية والإجابة عن الأسئلة الوجودية، في بيئة التأثّر والانبهار بتطور العلم والاكتشافات الحديثة والثورة الرقمية. بحيث ينشأ صراعٌ وهميٌ بين عظمة العلم والحقائق الدينية، ويزيد الصراع حدّة التعامل مع الأسئلة المشروعة كمحرّمات مخالفة للتعبد والتدين. بعض الأشخاص ممن أعتبرهم مثقفين جدًا وهو قارئ جيّد وإعلاميّ ناجح صارحني قائلًا: «أظن أن الذي مال بي نحو الإلحاد، هو أن الدورات الثقافية التي كنا نتلقاها في المراحل الابتدائية، صوّرت لنا أن كل سؤالٍ يمكن أن يُسأل قد سألتموه عنا. ولكن عندما خرجنا لكي نواجه أسئلةً جديدةً أحسسنا بانعدام الثقة بإجاباتكم (حتى لو كانت حقيقية)». لكن لا يجب، بل لا يوجد محرم بالسؤال.

قد أرقّي حسّ المعرفة التدريجية عند الشاب، قد أجيبه إجابةً ويكتشف أن مدركاتِه ليست جاهزةً لتلقيها. في عملية التبليغ، هناك ثمة أوقاتٌ يؤخذ فيها على عالم الدين أنه يتكلّم لغةً حوزوية. أنا أخالف هذا الرأي، فبعض الأسئلة لها مناشئ أعمق من الفطرة. يعني أنها قائمةٌ على إشكال فلسفي. يمكن للأسئلة البسيطة التلقائية أن يجاب عليها إجاباتٍ وجدانيةً مباشرة. ولكن الأسئلة التي رُكبت لنا من خلال المدارس الفكرية المتتالية، ثم تلقاها الشاب من الإنترنت وألقاها علينا، عندئذٍ نحن لا نجيب الشاب، بل نجيب ماركس أو دوكينز أو هوكينغ مثلًا. نحن نجيب المنظّر لهذه الفكرة. ربما لن يستفيد الشاب شيئًا، لكن بالحد الأدنى فليعلم أن في الدين إجابةً، هو يحتاج إلى مقدمات لفهمها. وليس سياسةً عامة. ولكي لا نغرق كثيرًا في التعامل مع الدين على أساس أنه مقابلة تلفزيونية أو وجبة سريعة.

> الشباب هو العمر الذي يتميّز بخصال ثلاث:
> **الطاقة والثورة والإبداع.**

التحدي الثاني: هو تحدي التوفيق بين الميل نحو التدين ونمط العيش الذي تفرضه منظومة القيم الوافدة مع النموذج اللاديني، وبالتالي اختلالٌ في معايير القبول

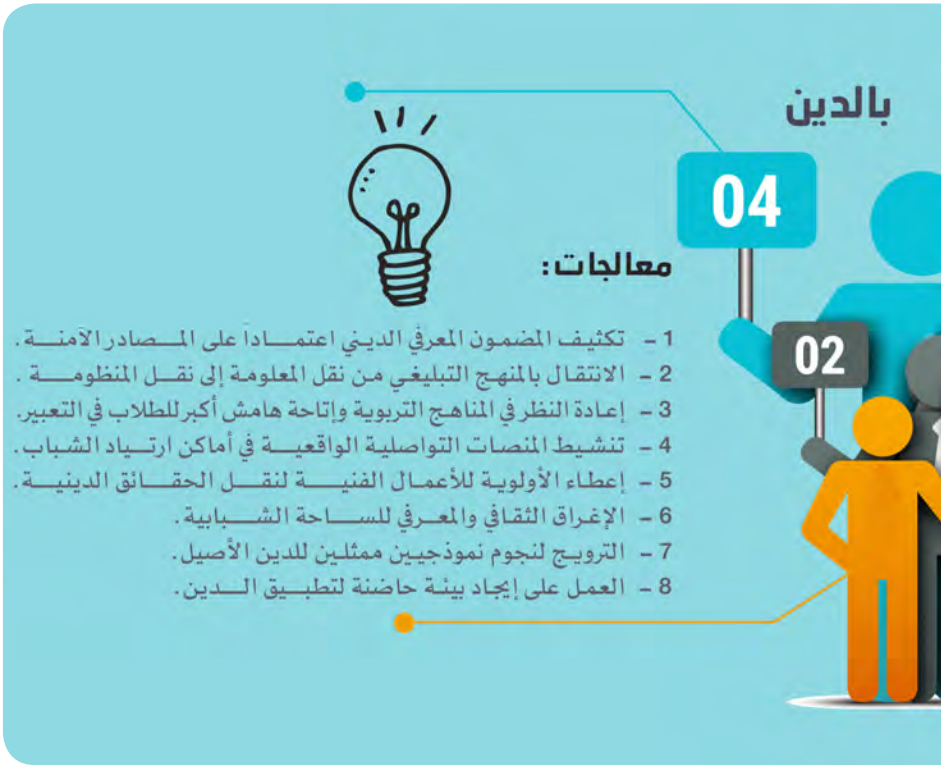

والرفض بين العقائد والرغبات. إذا أردنا أن نعرف الحرب الناعمة يمكن اختصارها بكلمتين هي «إدارة الإرادة».

الحرب الناعمة لا تقول لك إنّ منظومتك ساقطة. إنها تقول لك قم بما تريد ولكن عليك أن تحب ما أريده لك. لا أحتاج إلى قهرك ولا إلى إقناعك ولا إلى تحرير مفاهيمك. ليس ثمة منظومةٌ مقابلنا وتحاوِرُنا. بل هناك منظومةٌ تؤثّر في اتجاهاتنا النفسية. ثمّ نبحث عن مبرراتٍ نظريةٍ لكي نبرر سلوكنا.

كثيرٌ من قناعاتنا نكوّنها لتبرير سلوكيّاتنا. أعطيكم مثالًا بسيطًا عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول: «الفقر فخري»[1]. لنَر كيف يتعامل المؤمن مع الفقر.

ابني وابنتي عندما يذهبان إلى الجامعة يكونان محرجَين في حال لم تكن ملابسهما متميزة. الواقع أنه حتى بين الأطفال الصغار يدّعون أن أباهم ذهب ليشتري لهم. لماذا؟

1- المجلسي، بحار الأنوار، ج 69، ص 30.

فلماذا نربي أطفالنا على مفهوم «العيب» إذا لم نكن نملك المال. لقد جاء من النموذج الذي صنع رغباتنا. يكمن في منظومة الأفلام الهوليودية.

تقوم الحياة في الأفلام على أساس الثراء الفاحـــش، والفقر مقترن باتساخ البدن وقبح الوجه.

التحدي الثالث:

هو الخلل الهائل في العدالة الاجتماعية في المجتمعات الدينية بالمقارنة مع المجتمعات المقابلة. وتكثيف الاتجاه الاتهامي نحو مسؤولية الدين في هذا الخلل، من قبل المستغربين.

نحن الآن نعيش خللًا كبيرًا في منظومة العدالة الاجتماعية في المجتمعات الدينية. لا يصحّ أن نطلب من الفقير أو المظلوم التفكير بالأسباب التاريخية. الأولى أن نساعده بتسليط الضوء على النموذج القيادي الذي يواسيه.

> **الأسئلة** التي رُكّبت لنا من خلال المدارس الفكرية المتتالية، ثمّ تلقاها الشاب من الإنترنت وألقاها علينا، عندئذٍ نحن لا نجيب الشاب، بل نجيب ماركس أو دوكينز أو هوكينغ مثلًا.

الرابع: تحدي النموذج أو ما نسميه بالغشاوة في معايير المرجعيات الآمنة لفهم الدين. جلست مرةً مع طبيب ظننت أن لديه مشكلةً اجتماعيةً، ثمّ تبيّن أن لديه أسئلةً عقائدية. الأزمة الرئيسية التي اكتشفتها أنه يثق بشخصياتٍ نتيجة حُسن مظهرهم وانضباط سلوكهم، ويتعامل معهم على أساس أنهم مرجعياتٌ فكرية.

البديهي أنه كما أنّك لا تثق بطبيب الصحة العامة أو بطالب السنة الثالثة في الطب لكي يقوم بعملية قلبٍ مفتوح، عليك أن لا تثق بمن لا يملك أهلية فهم الدين بأدواته، خاصةً في ظلّ أزمة معرفة المرجعيات الآمنة.

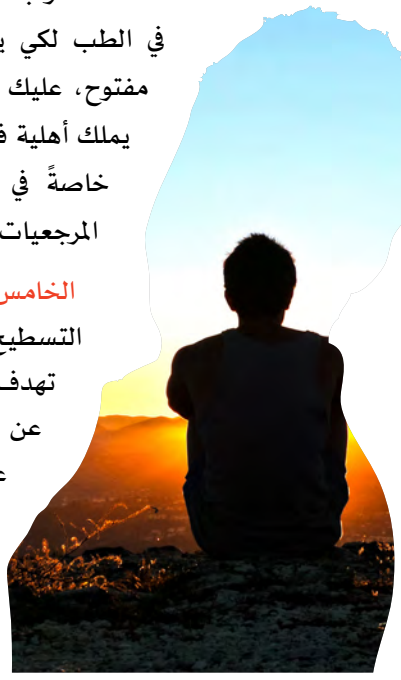

الخامس: قوة منصات التسطيح الفكري. التي تهدف إلى عزل الشباب عن الانتماء من خلال عنصر جـــاذبية الإثارة. والسرعة هي إحـــدى أهم تحـــديات الشبـــاب

في زماننا، يمكن قياسها على أساس فكرة الوجبات السريعة أو «الفاست فود». إذ يأتيك شخصٌ لديه أسئلة عمرها 15-20 سنة، ويريد الإجابة عليها في نصف ساعة. الواقع أنّ الوجبة السريعة تسبب لك الحرقة، فتتوهّم بأنك شبعت، لكنها تضرّك وتزيدك سمنةً وكلسترولًا.

> كما أنك لا تثق بطبيب الصحة العامة أو بطالب السنة الثالثة في الطب لكي يقوم بعملية قلب مفتوح، عليك أن لا **تثق** بمن لا يملك أهلية فهم الدين بأدواته.

إن هذا الدين متينٌ فأوغلوا فيه برفق. واحترام التدرّج سنّةٌ إلهية. الجاذبية والسرعة وبالتالي كل شيء سيكون جاهزًا. ونظام الـ«دلفري» هذا يؤثّر على نمط الحياة. صحيحٌ أننا نراه من عدسة الرفاهية، لكنه أيضًا في الخلفيات الذهنية والفكرية يؤثر في تناول الحقائق التي قد يحتاج الإنسان أن يقضي عمره فيها. لقد عاش سلمان الفارسي أكثر من 250 سنةً وهو يبحث عن الحق.

الواقع أن منصات التسطيح هذه مقصودة، إن اكثر البرامج التلفزيونية مشاهدةً هي الأقل كلفةً على مستوى التفكير وهي الأكثر جاذبيةً وإثارة.

السادس: ضعف الميل إلى التفوق والإبداع العلمي كسلطان من ملكه صال به ومن فقده صيل عليه، كما ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام. ثمة أزمة حقيقية هي من التحديات الفكرية لدى شبابنا، وهي أنهم لا يملكون رغبةً في التفوّق. يجب أن نربّي مجتمعنا على أساس أنه متفوّق في كل ما وهبه الدين، وعليه أن يتفوّق فيما يجب أن يهبه للدين. كل شيء أتانا من الدين لا يملكه غيرنا، لكن الشاب ماذا يمكن أن يقدّم من نموذجية لجذب الناس نحو الدين؟!

مجموعة من المعالجات والمقترحات:

أولًا: تكثيف المضمون المعرفي الديني اعتمادًا على المصادر الآمنة. نحن حتى الآن لا نملك سلة مطالعةٍ هادفة. هناك شباب يأتي من الخارج ليتعرف على الدين وهناك شباب متديّن ولكن يريد التعمّق أكثر في الدين. إذا أمسكنا الماء عن الناس ولم نوجد لهم ما يشربوه نكون قد زدناهم رهقًا. هناك جهدٌ جبارٌ لتطويع النصوص الدينية الأصيلة. ولإخراجها بشكل جيد وجعلها سهلة التناول.

ثانيًا: تدريس المعايير والمناهج في الانتماء مع المفاهيم والمعطيات. يعني الانتقال بمنهجنا التبليغي من نقل المعلومة إلى نقل المنظومة. وعليه يجب أن تعلّم الناس كيف تفكّر وليس أن تعطيهم مادة التفكير فقط. في زمنِ توفُّر المعطيات أنت لا تقدم قيمةً مضافة. بل تقدّم قيمةً في كيفية النظر. نحن في زمن الـ «كيف» وليس زمن الـ «ماذا».

ثالثًا: إعادة النظر في المناهج التربوية وإتاحة هامشٍ أكبر للطلاب في التعبير. وذلك لتنمية حسن التفكير الحر والإيجابي قبل أن تسبقكم إليه المرجئة. وإذا لم يسألنا نحن قد يقدّم له غيرنا إجابات خاطئة.

رابعًا: تنشيط المنصات التواصلية الواقعية في أماكن ارتياد الشباب. ويمكن ذلك من خلال إقامة الندوات في القهوة أو «الكافييات».

خامسًا: إعطاء الأولوية للاعمال الفنية، سينما، تلفزيون - مسلسلات، مسرح، رسم، رواية، شعر... لنقل الحقائق الدينية. وهذه هي الأكثر رسوخًا.

سادسًا: الإغراق الثقافي والمعرفي للساحة الشبابية. لقد احتلنا الغرب بالطباعات وطوّر استعماره لنا بناءً على ردات فعلنا.

سابعًا: صناعة أو الترويج لنجوم نموذجيين ممثلين للدين الأصيل.

ثامنًا: العمل على إيجاد بيئةٍ وسلطةٍ محليّةٍ لحضانة تطبيق الشريعة، إذا لم تتوفّر السلطة بمعنى الدولة. لن نستطيع إقناع الشباب بخياراتنا الدينية إذا لم نقدّم لهم نموذجًا حسيًا، ولكن بصيغة مجتمع.

الشيخ حسين زين الدين
باحث إسلامي ـ لبنان

الدين سعادة لا بؤس

د. فوزي العلوي

تشغل ظاهرة التديّن عموم الشّعوب، نظرًا إلى تعقّد هذه الظاهرة وارتباطها بثنائيات: المُقدّس والدنيوي، والنقل والعقل، والتراث والحداثة. ورغم ذلك، فإنّ ما نشهده في العالم اليوم، من تضخّم مَرضيٍّ للمصلحيّة والرّبحيّة / النفعية على حساب القيم الإنسانيّة الحقيقيّة المُتحكّمة في منظومات الفهم والسلوك والاستهلاك، ضمن خلفيةٍ مُشوّهةٍ ومُصطنعةٍ لمطالب أصيلةٍ في الذات الإنسانية، وراسخةٍ في التجارب المجتمعيّة والحضارات والثقافات. ويكشف التحليل لهذه المسألة عن خلل كبير، يتمظهر في غياب مرجعيةٍ قيميّةٍ وأخلاقيةٍ وروحيّة، متوازنةٍ وسويّة، يمكنها أن تمثّل الإطار النظريّ لضبط حركية الوجود الإنساني اليوم..!

أوّلًا: من الدّين إلى التديّن:

وانطلاقًا ممّا خلُص إليه بعض علماء النفس، من أنّ الحاجة إلى الدين مرتبطةٌ أساسًا بالقدرة على الاستجابة لاهتمام الإنسان بمسألة المصير والهدف من الحياة الإنسانية، وهي المعضلة التي لم تجد إلى اليوم «الجواب الشافي» لها، في الأيديولوجيات المادية. فإنّ من الأكيد أنّ الدّين هو الوحيد المؤهل لتقديم الجواب عن هذا السؤال المصيري.. وهذا ما يؤكده أحد المفكرين الغربيين عندما يقول: «لن نُخطئ لو خلصنا إلى أنّ فكرة عَزو هدف إلى الحياة، لا تُوجد إلا تبعًا للمذهب الدّيني»[1].

1- - Freud (S.), Malaise dans la civilisation, P.U.F, Paris, 1971, pp 19- 20.

لذلك، عبّرت الإنسانية في الأديان عن حالة الوعي بهذا «الموضوع الأسمى»[2]. فكان التديّن من حيث هو، بحثٌ في الحقّ، ورغبة في الوصول إلى الحقائق المطلقة، وسعيٌ لتحقيق الانسجام بين مطالب الإنسان المادّيّة والمعنويّة المجرّدة، والرّوحيّة المُتخلّقة.

ثانيًا: حيرة العلم وفشل الاستهلاك في تحقيق السعادة

إذا كانت الحضارة الغربيّة وحداثتها اليوم تفرض سطوتها على تصوّر الإنسانيّة للوجود والمعرفة والقيم الأخلاقية، فإنّ هذا يتطلب تحديدًا دقيقًا للمشروع الفكري الحداثي في مرجعياته الغربيّة، والنظر في مدى استجابته بأمانة للشعارات التي رفعها.

> **الحاجة للدّين** مرتبطة أساساً بالقدرة على الاستجابة لاهتمام الإنسان بمسألة المصير والهدف من الحياة الإنسانية.

فقد جاءت النهضة والحداثة الغربيّة كلحظةٍ قطعت فيها أوروبا مع أوضاعٍ اقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ وسياسيّةٍ سيّئةٍ عاشتها الثقافة الغربيّة، وبحجّة إحياء الإنسان، عبر جعل العقل سيّدًا وموجّهًا له، في بناء تصوّراته عن نفسه وعن الوجود. وبسبب ردّة فعل عن الدور السيّئ للكنيسة في القرون الوسطى، جاءت العلمانيّة – المادية لتقدم نفسها كبديل، حيث عمل من خلالها الإنسان الغربي على إنتاج أنظمته الفكرية والقانونية والاجتماعية بعيدًا عن الكنيسة، لينتهي به المطاف إلى الوصول إلى حداثةٍ مادية، حيث تمّ الإعلان فيها عن «موت الإله» أوّلًا، ثم تلاها إعلان «موت الإنسان» ثانيًا!! هذا الإنسان الذي تحول إلى آلة للإنتاج والاستهلاك، بعدما توهّم – حينًا من الدّهر – أنّه صاحب الأمر والنهي في مملكة الوجود..!!

وإذا كان إفلاس الحداثة والعلمانية على مستوى عجزها عن ملء الفراغ الرّوحي، قد بدا واضحًا، فإنّ إبعادُ الدّين والتديُّن من حياة الشعوب والأفراد

2 – هيغل (جورج فيلهلم فريدريش)، محاضرات في تاريخ الفلسفة، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2002، ص – 146 148.

قد جعل من الإنسان الغربي المعاصر إنسانًا مشوّهًا، بعدما فشل في إقامة التوازن بين المطالب الماديّة للحداثة، والنوازع الرّوحيّة الإيمانيّة الغيبيّة.

أما البديل الذي استندت إليه الإنسانيّة الغربيّة، والمتمثّل في اعتماد العلم والمنهج التجريبي أساسًا ومنطلقًا لكلّ تصوّر، فقد انتهى به المطاف إلى العجز عن تقديم أجوبة دقيقة ونهائيّة على العديد من الأسئلة المصيرية. وظلّ السؤال المُحيّر عن معرفة الإنسان لذاته، باعتباره سُؤال الأسئلة، محيرًا!! بعدما عجزت سائر العلوم عن الإجابة عنه. الأمر الذي دفع العقل الغربي إلى التفكير في إعادة النظر في مدى جدارة العلوم على الاستجابة لمطالب إنسانيةٍ نوعيّة لم تقدر على بلورتها إلى الآن.

ثالثًا: الحاجة الى الإيمان

إنّ الإنسان ليس كائنًا ذا بُعدٍ واحد، هو البُعد الجسدي والمطالب الماديّة فحسب، بل هو جملة من الملكات والقوى غير الحسيّة أيضًا. وهو يختلف عن سائر المخلوقات بكونه كائنًا نوعيًّا يتفرّد بقيمة العقل النظري والعملي، وغياب هذا التصور جعل مفهوم العقل والعقلانيّة يتشوّه في الحداثة الغربيّة المادية، لأنها انحازت إلى تصوّرٍ مادي تجريبي لدور العقل، في مقابل التغافل عن أبعادٍ أخرى للعقل والتعقّل، ليست بالضرورة ماديّةً وحسيّة.

إنّ الحضارة الغربيّة الحديثة عندما رفعت من شأن التقدّم العلمي والصناعي، وجعلت الرفاه الاقتصادي واستهلاك البضائع هدفًا نهائيًا لها، لم تستطع سوى تلبيّة جوانب ماديّة محسوسة للإنسان، بينما عجزت عن تحقيق السعادة الحقيقية وراحة النفس وطمأنينتها، لأنّها اعتبرت الإنسان مجرد كائنٍ مادي يكفي أن يُلبّي مطالب جسده وغرائزه، ليحقق غايته في السعادة والشعور بالأمان الروحي..

> إبعادُ **الدّين والتديُّن** من حياة الشعوب والأفراد قد جعل من الإنسان الغربي المعاصر إنساناً مشوّها.

وهكذا، وجدت الحضارة الغربية نفسها أنها أمام إنسانيّة عبثيةٍ - عَدميّة، تعيسةٍ وحائرة، معذّبةٍ وفاقدةٍ للمعنى والأمن والأمان، وقد تحوّل الإنسان معها إلى سِلعةٍ وبضاعة، وحيوانٍ مستهلكٍ لما يُنتج من بضائع لا نهاية لها، وأضحى الناس مجرّد أرقام صمّاء..

كلُّ ذلك بسبب اسْتبعاد الحضارة الغربيّة، ودينها الجديد (الحداثة العلمانية)، المطالبَ الرّوحيّة والغفلة عن نداء الإيمان.. لقد نسيت مقاصد الحياة والغاية من الوجود: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية 67]. فكانت النتيجة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: الآية 124].

إنّ ما نشهده اليوم في المجتمعات التي تخلّت عن الإيمان والالتزام الديني، من تفشٍّ لظواهر الانتحار والعنف، والاغتصاب والإدمان، والأمراض القاتلة.. إلخ، لهو خيرُ دليلٍ على ما بلغته الحضارة الغربيّة من أزمةٍ وجوديّة، تدلّ على ضياع وحيرة الإنسان اليوم، وضبابية تصوُّره لقيمة الدّين ودور الإيمان القادر على تحقيق التوازن المفقود ضمن قاعدة الاعتدال والوسطيّة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الفرقان: الآية 29]. فهذه القاعدة من شأنها إيجاد التوازن بين مطالب الروح والجسد، كما تضمن عقلانية التديّن، لتحقيق رسالة الدّين الإنسانيّة، وحماية المتديّنين من الانزلاق نحو التطرّف والتعصّب، والغرائزيّة والتقليد الأعمى..

د. فوزي العلوي
رئيس مركز مسارات للدّراسات الفلسفية و الإنسانيات - تونس

الدين أمنٌ لا خوف

كامل كمال

كثيرًا ما يثير غير المتديّن في عالمنا العربي - متأثرًا ببعض فلاسفة الغرب - أن الدين نشأ في حياة الإنسان القديم بسبب ما أسماه الفيلسوف البريطاني رسل «فتنة الخوف»[1]، فيعتقدون أن الإنسان يختار التديّن بسبب حاجته إلى الشعور بالأمان ودفع الخوف، وبما أن الإنسان القديم كان يخاف من الظواهر الطبيعية، كالرعد والزلازل والبراكين والفياضانات والكوارث والأمراض، اخترع فكرة الدين ووجد في الإيمان بالله كهفًا يلتجئ إليه كقوةٍ عظمى قادرةٍ على حمايته من المخاطر والتهديدات والأزمات، فيرتفع الخوف من داخله، ويحقق الشعور بالأمان النفسي.

يقول رسل: «يقوم الدين، برأيي، بصورةٍ أساسيةٍ وأوليةٍ على الخوف، إنه جزئيًا الخوف من المجهول... إن الخوف هو أساس الأمر كله - الخوف من كل ما هو غامض، الخوف من الهزيمة، والخوف من الموت، إن الخوف هو أبو القسوة وأمها، لذا، لا عجب إذا ما كان الدين والقسوة يسيران يدًا بيد»[2].

ومن أجل أن يشوّهوا صورة الدين بنحو أشد، اعتبروا أن الدين حالةٌ مرضيةٌ تصيب الإنسان، لأنه إذا حلّلنا حقيقة المرض نراها

عبارةً عن حدوث انحرافٍ عن الحالة الطبيعية عند الإنسان، وهذا ما يحصل عند المتديّن. لذا يكمل رسل وجهة نظره بقوله:»إنني أعتبره - أي الدين - مرضًا ولد من الخوف ومصدرًا لبؤس العرق الإنساني غير المحدود»[3].

وقد عمّق سيجموند فرويد التشخيص المَرَضي للدين، حيث اعتبر الأفكار الدينية ولدت بفعل حاجة الإنسان إلى الدفاع عن النفس ضد تفوُّق الطبيعة الساحق، ثم صوّرها الإنسان لنفسه على أساس أنها وحيٌ مُنزل[4]، و»أن الدين ما هو إلا عصاب تشكو منه الإنسانية»[5].

وإذا سألناهم عن القوة التي تستطيع أن تخلّصنا من هذا الخوف المرضي، فيجيبون أن الحلّ يكمن في الإيمان بالعلم وقدرته على تغيير حياة الإنسان. يتابع رسل قوله: «العلم يستطيع أن يساعدنا في تجاوز هذا الخوف الذي يصيبنا بالجبن والذي عانى منه الجنس البشري لأجيال عديدة»[6].

> من أجل أن **يشوّهوا** صورة الدين، اعتبروه حالة مرضية تصيب الإنسان، ومصدراً لبؤسه.

1- رسل، برتراند، لماذا لست مسيحيًا؟، ترجمة عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 2015م، ص 26.

2- المصدر نفسه، ص 35.

3- المصدر نفسه، ص 37.

4- انظر: فرويد، سيغموند، مستقبل وهم، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1998م، ص 25-29.

5- فرويد، موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1986م، ص 78-79.

6- رسل، المصدر السابق، ص37.

ولمناقشة هذا التصور عن طبيعة الدين في حياة الإنسان نطرح عدة نقاط:

أولًا: لا يمكن تصنيف الخوف بحد ذاته كحالةٍ مرضيّة، لأنّ الخوف حالةٌ نفسيةٌ يعيشها كل إنسانٍ سويٍ بشكلٍ طبيعي، نعم، قد يتحوّل الخوف إلى حالةٍ مرضيّةٍ فيما لو تجاوز حدّه، كما هو شأن كل صفةٍ إنسانية، ومؤشر معرفة ذلك بأن يفقد الإنسان بسبب الخوف توازنه الطبيعي في التعامل مع الأشياء.

وبناءً عليه، ما المشكلة في أن يكون الدافع الذي يحرّك الإنسان نحو الدين هو الخوف الطبيعي الذي يعيشه كلّ إنسان سويّ كي يشعر بالأمان، ويدفع عن نفسه الضرر الأخروي والعقاب المحتمل في حياة ما بعد الموت.

فما يذكره غير المتدينين - من أنّ عامل حاجة الإنسان إلى الدين هو الخوف - نسلّم به، ولكنه لا يصلح أن يكون ذريعةً بيدهم، بل على العكس من ذلك هو حجةٌ قويةٌ بيد المتديّن، فإذا كان الإنسان يجد في الله سبحانه وتعالى أمانه، ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1]، فما المشكلة في أن يسعى الإنسان للوصول إلى الأمان والطمأنينة ودفع الخوف بواسطة التدين والإيمان بالله تعالى؟!

وقد اعترف أغلب علماء النفس أن الإنسان يجد الشعور بالأمان في الدين، فإذا كان الشعور بالأمان والسعادة هو حالةٌ مرضيةٌ وغير سوية، فماذا تكون الحالة الطبيعية إذًا؟! الحقيقة أن انعدام الشعور الديني هو الحالة المرضية لا العكس، لأنه يسبب الاضطراب ويزرع الشعور بالقلق في الشخصية.

يقول كارل يونج: «انعدام الشعور الديني يسبب كثيرًا من مشاعر القلق والخوف من المستقبل والشعور بعدم الأمان والنزوع نحو النزعات المادية البحتة، كما يؤدي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى هذه الحياة ويؤدي ذلك إلى الشعور بالضياع»[2].

> إن انعدام **الشعور الديني** هو الحالة المرضية لا العكس لأنه يسبب الاضطراب ويزرع الشعور بالقلق في الشخصية.

ثانيًا: إنّ الشعور بالخوف هو أحد العوامل التي تدفع الملحد نفسه إلى العودة إلى الدين، كما تفيدنا الكثير من التجارب التي يرويها لنا الراجعون من غرق الإلحاد إلى شاطئ نجاة الإيمان، ففي الكثير من المحطات - خصوصًا تلك التي يمر فيها الإنسان بمواجهة الصعوبات والبلايا - ينجذب القلب إلى قوةٍ كونيةٍ عظيمةٍ ويلتجئ إليها لتحقّق له الأمان، يقول تعالى: ﴿وإذا مَسَّ الإنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[4]، إلخ.

ثالثًا: إن تفسير نشوء الدين بعامل الخوف حصرًا هو تبسيطٌ لطبيعة الحياة الدينية عند الشعوب، وإلا، لو كان الخوف هو السبب الحصري لنشوء الدين، فمن المفترض أن ينتفي التدين عند انتفاء الخوف، وأن نجد أنه كلما ضعف الخوف زادت النزعة الإلحادية، وكلما زاد الخوف زاد الإيمان، في حين أننا نجد التدين يزداد عند المطمئنين والآمنين، كالأنبياء والأولياء، أما الملحد فهو الذي يعيش الخوف والقلق الوجودي.

رابعًا: يدعي الملحدون أيضًا أنه كلما تقدّمت الاكتشافات العلمية ضعف

1- سورة الرعد، الآية 28.

2- العيسوي، عبد الرحمن، دراسات في تفسير السلوك الإنساني، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1419هـ، ص 193.

3- سورة يونس، الآية 12.

4- سورة العنكبوت، الآية 65.

الخوف في حياة الإنسان، في حين أننا جرّبنا أنه كلما تقدّم العلم ازدادت مخاوف الإنسان وشعوره بالقلق والاضطراب، فمحاولة الملحدين والماديين إحلال العلم مكان الدين هي محاولةٌ لتأليه العلم، فهؤلاء سواء شعروا أم لم يشعروا قدموا لنا العلم كإلهٍ منقذٍ للبشرية.

وفي هذا السياق، حاول بعض الملحدين تصوير الدين على أنه وليد الجهل، معتبرين أن الإنسان البدائي بسبب جهله أسند الظواهر الطبيعية إلى إلهٍ يتحكّم بها ويديرها، فكلما تقدّم العلم واكتشف الإنسان القوانين الفيزيائية والبيولوجية وغيرها تراجع الدين خطوةً إلى الوراء[1].

يقول جورج بولتزر: «إن الديانة لمّا كانت تتولد من الجهل فإنها تُحِل محل التفسيرات العلمية تفسيراتٍ خيالية، فتعمل بذلك على ستر الواقع وإسدال الستار على التفسير الموضوعي للظواهر، ولهذا كان الرجل المتدين مناوئًا لمبادئ العلم التي هي من عمل الشيطان، لأنه حريصٌ على أوهامه»[2].

> في الكثير من المحطات وخصوصاً تلك التي يمرُّ بها الإنسان في مواجهة الصعوبات والبلايا **ينجذب القلب** إلى قوة كونية عظيمة ويلتجأ إليها لتحقق له الأمان.

وهذه الفكرة أيضًا من السخافة بمكان، لأنه لا يوجد أدنى ارتباطٍ وتلازم بين اكتشاف القوانين الحاكمة على الطبيعة وبين نقص الإيمان بالله تعالى، إذ الإيمان بالله تعالى لا يلغي الاعتقاد بأن هذا الكون يعمل على ضوء قوانين يمتلك الإنسان القدرة على اكتشافها والوصول إليها.

ولو كان هناك تناسبٌ عكسيٌ بين العلم والدين، فلماذا نرصد انتشار ظاهرة التديّن بقوة بين العلماء التجريبيين والمخترعين والفيزيائيين والأطباء؟!! ولماذا نلاحظ أنّ أكثر العلماء عبر التاريخ هم من المؤمنين بالله تعالى؟!.

بل، هناك تناسبٌ وثيقٌ بين تقدّم العلم وارتفاع نسبة الإيمان بالله تعالى، لأن العلم أداةٌ تكشف لنا دقة هندسة وتصميم هذا الكون، ولذا دعانا القرآن الكريم إلى التأمل والتدبر في الظواهر الكونية والطبيعية المحيطة بنا لأنها آيات وعلامات آفاقية تعمّق معرفة الإنسان بالله تعالى وتربطه به.

فالله تعالى يتجلى في عصر العلم.

والعلم يدعو إلى الإيمان[3].

1- فويرباخ، لودفيغ، جوهر الدين، ص47. أنجلز، فردريك، لودفيج فورباخ، ص 64.

2- بولتزر، جورج، أصول الفلسفة الماركسية، ج 1، ص208.

3- يراجع بهذا العنوان كتاب كريسي موريسون، الذي كان رئيسًا لأكاديمية العلوم بنيويورك وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي، وزميلًا في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي.

كامل كمال
ماجستير في الفلسفة

الدين:
الشباب هم قوة التغيير الاجتماعي

جهاد سعد

لعلّ قضيّة الشباب هي من أهمّ ما يطرحُه المبلّغون ويُطرَح عليهم لجهة أفضل الأساليب في تنمية الحسّ الديني لهذه الفئة المتوقّدة. والأهم من ذلك، هو الإجابة على اسئلتهم مهما كانت متمرّدة. ذلك أن أساليب التبليغ تتغيّر بحسب طبيعة الأسئلة وطبيعة الشباب، الذي يتّسم بالتوقّد والتمرّد بسبب الشعور بالقوة والقدرة على الإستقلال. فتصبح أولويّة المبلّغين والآباء أن يتسلّحوا بالعلم والحوار. فلا يكون العلمُ وحده، أو الحبُّ وحده هو زاد الطريق إلى قلوبهم.

تلبية الحاجات أم تربية العادات

الواقع أنّه ابتداءً من فترة الكمون، وهي الفترة السابقة للمراهقة، من 7 إلى 14 سنة، يبدأ تدريب الأولاد على نمط حياة المتديّن. تكمن القوة في هذه الفترة في القدوة، وفي العمل، وليست فقط في الحوار. ذلك أنّ هذه الفترة تتسم بالمرونة، وبالتالي تتحقق القدرة على ترسيخ العادات الإسلامية كالصلاة والطهارة والدعاء والإرتباط الروحي بالأنبياء والأولياء عبر القصص الهادفة. كما أنّ سماع القرآن الكريم وحفظه، ولو مع التفسير البسيط للمفـــردات، يوصـــل رسالة إلى القلب لا يدركها حتى المتلقي. فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان كلّه، ويسبّب له بعثًا ونشاطًا لقدراته. حتى ولو لم يفهم المستمع آيات الكتاب بالتفصيل. والأهم من ذلك كلّه، هو ممارسة هذه العملية بمحبّةٍ وتسامحٍ مدروس.

وحتى ينتهي سنّ الكمون وتتفجر الشخصيّة المراهقة التي تريد أن تبني لنفسها حيزًا منفصلًا عن الوالدين والبيئة المحيطة، تكون هذه العادات الدينية قد ترسخت وتجذّرت وأصبح من الصعب جدًا التفلت منها، فمن شبّ على شيء شاب عليه.

> تعلّمنا من **القرآن الكريم** وسـنّة المعصومين أنّ موقف الدين من الشـباب هو موقف إيجابي.

إلا أنه ثمّة تحدّي في هذا العصر يصعّب عملية التربية على العادات الدينية، وهو انشغال الأهل عن أولادهم بسبب صعوبة تلبية الحاجات الأساسية من غذاء وكساء وسكن وتعليم وطبابة. فمتطلبات هذا العصر المادية لدى عدد لا يُستهان به من العائلات، تحتاج الى عملٍ شاقّ بل إلى أكثر من عملٍ واحد. وخروج كلا الوالدين إلى العمل قد بات أمرًا شبه ضروريّ لتأمين مستلزمات الحياة. وهذا الواقع يجعل المتابعة المطلوبة مفقودة. وبات الصبر على تأمين الأجواء النفسية الملائمة لهذه العملية المعقّدة أيضاً قليل. وللتعويض عن تقصيرهم يلجأ الوالدان إلى استخدام السلطة المفرطة، فتتلاشى القدرة على جذب الأولاد الى الواجبات الدينية. والجدير بالذكر أنّ ظاهرة التواصل الإلكتروني وتعدّد وسائط الاتصال قد أثرا مباشرة على بنية الحوار بين الأهل والأولاد، الأطفالُ منهم والمراهقون والشباب.

النظرة إلى المراهقة بين العرف والدين

تعلمنا من القرآن الكريم وسنّة المعصومين أنّ موقف الدين من الشباب هو موقف إيجابي، على عكس العرف

التقليدي الذي يخاف من جذوة التمرّد التي تُميّز الأجيال الطالعة. فهذا أبو الانبياء إبراهيم عليه السلام يعاني من استخفاف عمّه وبيئته، ولكن القرآن الكريم ينحاز له ويندّد بموقف المجتمع الوثني منه، يقول تعالى: (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم)[1]. وفي سورة الكهف يشير القرآن إلى شباب مؤمن، هجر مجتمع الشرك، فأيّده الله بهدًى منه ومعجزة: ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى))[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبُّ إلى الله شابٌّ تائب». وعن الصادق عليه السلام أنه سأل الأحول: أتيتَ البصرة؟ قال: نعم، قال عليه السلام: كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟ فقال: والله إنهم لقليل...فقال: «عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير».

وهكذا كلّما توسّعنا في البحث وجدنا موقفًا إيجابيًا وتأسيسيًّا من هذه المرحلة في حياة الإنسان، حتى أن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد إمكان اجتماع الحماسة مع الحكمة. بل إنّها تؤكّد أن التمسّك القويّ بالحكمة لا يتوفّر إلا إذا نهض به الإنسان وهو شاب، فيختلطُ بلحمه وروحه ودمه.

1- الانبياء، 60.
2- الكهف، 13.

يقول تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة، وآتيناه الحكم صبيا)[3]. وقد كان عليه السلام بالفعل متشددًا على نفسه في ذات الله سبحانه. أمّا في قصة يوسف عليه السلام فنراه يؤثر السجن على الانجراف في عالم الشهوات المحرمة، (قال ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه)[4]، وعن أيوب عليه السلام: «إن الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير، فإذا جعل الله العبد حكيمًا في الصبى لم يضع منزلته، عند الحكماء حداثة سنّه وهم يرون عليه من نور الله وكرامته».

> **الأحداث والشباب**
> هم أصلح من يمكنه حمل المشروع التغييري الكبير.

ألا ينافي هذا الموقف ما هو سائد في عرف الآباء، بأنّ الشاب جاهل! حتى أن كلمة مراهق تساوي كلمة جاهل أو «جهلان».

نستفيد مما تقدم أن منطلق التأثير على الشباب هو النظر إليهم كاستثمارٍ ناجح، وتقبّل أسئلتهم وتمرّدهم بصبرٍ وحكمة وحبٍّ و علم.

3- مريم، 12.
4- يوسف، 33.

أما حديث الإمام الصادق فيشيرُ إلى أنّ أصلح من يمكنُه حملُ المشروع التغييريّ الكبير، هم الأحداث والشباب.

وهذا خطابٌ ينطوي على حسن الظنّ، بعكس ما هو شائع عن المراهقة في الأدبيّات الحديثة. فالمسارعة إلى الخير تحمل مضامين الصدق والحماس والاستعداد للتضحية التي يتمتّع بها الشاب.

برنامج الإسلام

بعد تأسيس الطفل على العادات الدينية

في فترة الكمون، ثم التعامل معه كاستثمار ناجح باتجاه التغيير والنهضة وليس بأنه مجرد متلقي سلبي لما يسمع ويرى، يترتّب على الشاب ممارسة مجموعة من الأمور لكي يكمل البرنامج الذي وضعه له الإسلام:

أولا: أن يستغل طاقتَه في طلب العلم

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

> لا تعادي عصرك ولكن أيضًا لا تجاريه إلى درجةٍ تفقد فيها دورك وهو نقل الأمانة الإلهية إلى الأجيال القادمة.

«لستُ أَحَبّ أن أرى الشابّ منكم إلا غاديًا في حالين: إما عالمًا أو متعلمًا فإن لم يفعل فرط، فإن فرط ضيع، فإن ضيع أثم».

ثمّ في طلبه للعلم أن يُعمِلَ الشابّ فكرَه فيما تطلبه الشريعة ويقدّمُه للواقع. ويعدَّ نفسَه لدورٍ قياديّ في المجتمع، ويجتهدَ في البحث عن أساليب تقريب الناس إلى الله تعالى بما يتناسب مع لغة جيلِه ولغة عصره. فهو بالتأكيد أعلم من أساتذتِه فيما يجتذبُ قلوب أترابه من الأصدقاء، وهذا يتطلّب شخصيّة متماسكة وأصيلة، مع قدرةٍ على الإنفتاح والتفاعل الصادق مع هموم الناس ومشاكلِهم.

ثانيا: حكمة الشباب تغيّر التاريخ

إذا انفتح قلب الشاب على نور الحكمة فإنّ بإمكانه أن يغيّر التاريخ. إنّها حقيقةٌ قرآنيّة ونبويّةوعلويّة.

والحكمة في القرآن الكريم هي سنّة المعصوم، بمعنى قولُ المعصوم وفعلُه وتقريرُه. يقول تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم والله عزيز حكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[1].

يمكن ملاحظة أن الآية: (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)، فيها إشارةٌ واضحة إلى تواصل الأجيال في تعلّم الكتاب والحكمة، التي هي فضل الله الذي يؤتيه من يشاء شابًا كان أو كهلًا، وضيعًا كان في المجتمع أو عزيزًا.

الحكمةُ إذاتابعةللقلوبوالنفوسوالعقول، وليس للعمر أو للمركز الاجتماعي. وإذا دخلت إلى القلب أحدَثت ثورةً نفسيّةً وحوّلت الإنسان إلى طاقة محرِّكة ليس لجيله فقط بل لأجيالٍ متعاقبة. ولو فرضنا أن جيلًا ما تقاعس في العمل بالكتاب والسنّة، فإنّه سيكون قاطعَ طريقٍ بين الله والبشريّة. ولو قام بما عليه وجسّد الكتاب والسنة قولًا وفعلًا، فإنه سينقلُ بقوّة القدوة، أنوارَ الحكمة من جيل إلى جيل. وعلى من تقوم هذه المهمة الصعبة التي أبت أن تحملها السموات والأرض؟ إنها تقوم على الإنسان وهو في أوج قوته وذروة نشاطه، يعني على الإنسان الشاب. فمرحلة الشباب إذا هي الجسر القويّ الذي ستعبر عليه أمانة الله من جيل إلى جيل، وهي القوّة التي ستحرّك بروح الله مسار التاريخ.

1- الجمعة 2-3-4.

إن الإسلام يلخّص هنا رسالتَه إلى الشباب بهذه المقولة: أيّها الشابّ لا تعادي عصرك، ولكن أيضًا لا تجاريه إلى درجة تفقد فيها دورك فيه. وهو دور نقل الأمانة الإلهية للأجيال القادمة. أي تغيير العصر بشكل يجعلُ في العصور القادمة أجيالًا أكثر قربًا من الله. ويكون العصر أكثر تعبيرًا عن تجليّات الحكمة الإلهية بالوجه الذي يناسبُه. وهذا هو المقصود بأن كلمات الله لا تنفد في قوله تعالى: (قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)[2]. أي أنّ لله في كل عصرٍ كلمةً

> إذا انفتح **قلب** الشاب على نور الحكمة بإمكانه أن يغيّر التاريخ.

هي غيرُ الكلمةِ التي قيلت في العصور السابقة، وهذه الكلمة هي فهمٌ جديدٌ لكتاب الله وسنّة المعصومين. وبتعبير عليّ عليه السلام، هي تجلّي جديد لأسماء الله وصفاتِه وكلماتِه في كلّ عصر إذ يقول: «إن الله قد تجلّى لخلقه بكلامه ولكنّهم قوم لايسمعون».

جهاد سعد
خبير تربوي وباحث في الشؤون الفكرية – لبنان

قائد النفس البشرية

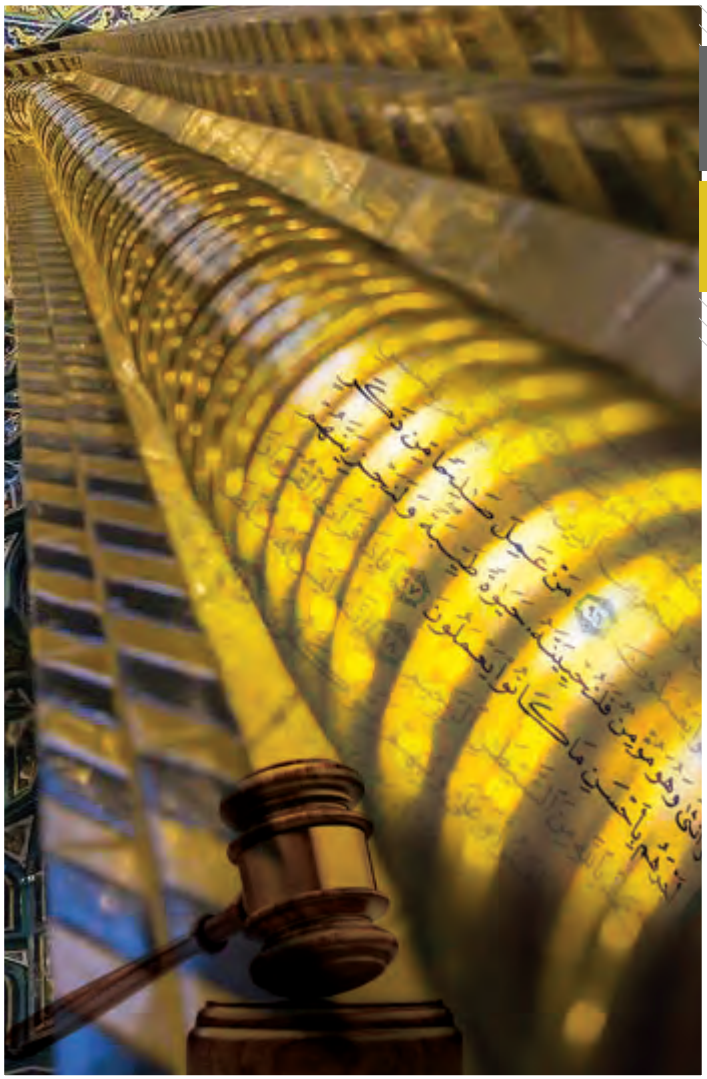

خاتم بن حسين

بحكم معرفتنا بأنفسنا، فإن بإمكاننا أن نقول إن النفس الإنسانية تتحكم بها نوعان مِن القوى، قوًى داخلية وقوًى خارجية، وهي – أي النفس بعد تلقّيها تأثير تلك القوى – تتحكم بدورها بالإنسان، فتدفعه لفعل الخطأ أو الصواب، الجميل أو القبيح، الخير أو الشر، إلى غير ذلك مِن الأفعال التي تصنّف إيجابيةً وذات فائدةٍ لصاحبه وللمجتمع أو مضرةً به وبمجتمعه.

القوى الداخلية، إما ان تكون الدين، أو مجموعةً من الصفات التي نسمّيها عادةً بالفطرية والغريزية وهي صفاتٌ إنسانيةٌ يحملها البشر الأسوياء، أو كليهما، أي الدين والصفات الإنسانية، وهذه قوًى تحرّك النفس وتؤثّر عليها مِن الداخل.

القوى الخارجية قد تكون قوة القانون أو الأعراف أو التقاليد، سمّها ما شئت، المهم أنّنا متفقون حول المضمون، وهو أنّها قوةٌ لا تنبع من داخل الإنسان وإنما من خارجه، وأيضًا تتحكم بنفسه.

تتناوب القوة الداخلية والقوة الخارجية على ضبط سلوك الإنسان والتحكم به من خلال التأثير على نفسه، وحين تضعف سلطة قوةٍ ما تسد سلطة القوة الأخرى مكانها، فمثلًا، حين تنهار الدول وينهار معها القانون تجدنا نعوّل على نفوس الناس، وتجدنا أحيانًا نبالغ في مدح بعض الناس الذين يظلّون منظّمين في سلوكهم وتصرّفاتهم حتى حين يكون القانون منهارًا، نمتدح هذا الفعل لأنّه ناتجٌ عن قوةٍ داخليةٍ من عند الإنسان، ونحن نعلم أنّ نفس الإنسان أمّارةٌ بالخطأ، والإنسان في الغالب ذو نزعة شريرةٍ حين يكون حرًا، كما هو مُسلَّمٌ مِن خلال استقراء ما في نفوسهم وأيضًا من خلال التجربة، فيندر أن تجد إنسانًا سنحت أمامه فرصة للخطأ والتمادي والحرية ولم يخطئ، غالبًا النفس ستخطئ إذا شعرت بأنّه ليس هناك حساب وقانون ومساءلة، حتى قيل «مَن أمن العقوبة أساء الأدب».

مع أنّنا لو تتبّعنا المسار التاريخي للبشرية، سنجد أنّ للدين سلطةً في كل القوى الداخلية والخارجية المؤثرة في سلوك الإنسان، لأنّه كما يؤثر في النفس، يؤثّر أيضًا في القانون وفي الناس وفي الأعراف والتقاليد، وتجد له رائحةً وحضورًا في أغلبية القوى الداخلية والخارجية، إلا أنّنا لو تحدّثنا فقط عن تأثيره وسلطته على النفس، سنجد أنّ الدين له حصة الأسد مِن السيطرة على النفس وهو أقوى وأكثر مَن يتحكم بها ويقودها.

لنأخذ أمثلةً واقعيةً تؤكد ضرورية وجود سلطة على النفس داخليةً وهي الدين، المثال الأول سيكون عن الدور العام الذي

يخصّ المجتمع ككل لهذه السلطة على النفس في لحظة انهيار أو ضعف القانون، والمثال الثاني سيكون عن الدور الخاص والتفصيلي – الذي يخص تفاصيل صغيرةً في تعاملات شخصية – لهذه السلطة على النفس في لحظة غياب القانون وابتعاد تأثيره عن بعض تفاصيل الحياة.

المثال الأول: الدور العام على النفس

يُعتبَر عالمنا العربي والإسلامي اليوم أحوج ما يكون إلى سلطةٍ داخليةٍ على النفس، لأنه يشهد انهيارًا للقوة الخارجية المؤثرة على نفس الإنسان العربي أو المسلم وهي قوة القانون، في ظل شبه انهيارٍ للدول والحكومات، وفي ظل فوضى جزئية وأخرى نسبية تسود الواقع العربي والاسلامي منذ احتلال العراق عام 2003، وتفاقمت أكثر بعد ما سمّي بالربيع العربي أوائل عام 2011. فحين ينهار القانون، لا تبقى مِن قوةٍ قادرة على ضبط سلوك النفس إلا قوة الدين مِن حيث القدرة على التأثير.

ومنطقيًا، حين يكون الدين هو الفاعل والمؤثر الأقوى والأكبر والأقدر على النفس، وخاصةً أنّه يستند إلى منهج – بمعزل عن التفاصيل – هو منهجٌ في خطوطه العامة يريد مصلحة الإنسان، لأنه (أي الدين) في تحليله وتحريمه، ومنعه وتشجيعه، وترغيبه وترهيبه، لا يخرج عن إطار القيم سواءً الإنسانية الفطرية المتأصّلة في نفس الإنسان، كنبذ القتل ونبذ أخذ حقوق الآخرين ونبذ التعدي عليهم والدعوة لمحبّتهم، أو القيم المتعارف عليها على أنّها قيم إنسانية، أقرّتها العادة أو التجربة أو المناهج الفكرية أو الأنساق الفلسفية، حين يكون لدينا مثل هذا القائد للنفس، الأَوْلى هو الحفاظ عليه وتدعيمه، لكي نحتفظ بقوة النفس الكبيرة في التأثير الذاتي من داخل الإنسان، ونفعّلها في الواقع، والتي بدورها ستضبط سلوك صاحبها في حال غياب القانون وانفراد الإنسان بالواقع.

المثال الثاني: الدور الخاص

هل يمكنك أن تدخل في شراكة عملٍ أو مشروعٍ مع شخصٍ لا يلتزم بقانونٍ أو منهجٍ في حياته؟ أي أنّه – مثلًا – لا يسرق المال

> مادامت **النفس** لا تردعها سلطة دين أو قيم أو دوافع إنسانية ستنقلب إلى وحش كاسر في اللحظة التي تشعر فيها بأن القانون ضعيف.

الذي في جيبك ليس احترامًا للقانون ولا امتثالًا لدين أو خلق أو عرف، وإنما فقط لأنّه لا يستطيع ذلك، هل يمكنك أن تتعامل مع شخص بهذه المواصفات؟

إن لم يكن للإنسان سلطةٌ على نفسه تمنعه مِن أخذ مال غيره، حينها هل يمنعه القانون أو مثلًا عُرف الصداقة أو عقد الشراكة من ذلك؟

الجواب بالتأكيد لا، ففي لحظة انهيار القوة الخارجية تصبح نفسه بلا قائدٍ وحاكمٍ عليها، ولن يمنعه شيء حينها، ويُصبح مثل هذا الإنسان مِن الخطأ التعامل معه وهو على هذا الحال، إلا إذا كان القانون الذي يحكم بينكما قانونًا قويًا وفاعلًا بحيث يكون قادرًا على ضبط سلوكه وقطع الطريق عليه ومنعه مِن أخذ مالك ومنعه مِن سلبك حقك، وإلا ما دامت نفسه لا يمنعها شيء ولا تردعها سلطة دينٍ أو قيمٍ أو دوافع إنسانية، فإنّ هذا الشخص سينقلب إلى وحشٍ كاسرٍ في اللحظة التي يشعر فيها أن القانون ضعيفٌ وغير قادرٍ على منعه وضبط سلوكه. فهذه النفس، كما أسلفنا، لا توجد قوةٌ قادرةٌ على ردعها وقيادتها وضبط سلوكها كقوة الدين، سواء نظريًا لِما يمتلكه الدين من إمكاناتٍ كقوة ردعٍ ذات تأثير جذاب وملفت وقوي، ومنطق إقناعٍ متماسك، أو عمليًا مِن خلال التجربة وما نشاهده مِن تأثيرٍ لهذه السلطة على نفس الإنسان.

وعليه، نستطيع أن نقول إنّ قوة الدين هي الحصن والرادع لنفس الإنسان مِن الداخل، وحين تنهار هذه القوة فإنّ أولئك الذين لا يرتكبون الخطأ ظاهراً، في الغالب سيكون سبب انضباطهم هو قوة القانون وخوفهم مِن الحساب والعقاب والمساءلة، وليس قناعتهم بأنّ الخطأ خطأ لا يجب عليهم فعله.

خاتم بن عيسى
ناشط ثقافي – العراق

مقابلة مع العلامة
محمد حسين الصغير

"منهجنا في حياتنا التقريب بين وجهات النظر الإسلامية"

محمد حميد

نشأ بين أساطين الحوزة العلمية شابًا محبًا للعلم والمعرفة، ذاق مرارة الفقر وحلاوة العلم فلهج لسانه علمًا وشعرًا.

أما علمًا، فقد أنتج موسوعة الدراسات القرآنية، وموسوعة أهل البيت الحضارية، والتفسير المنهجي للقرآن العظيم، وديوان أهل البيت (عليهم السلام).

وأما شعرًا، فقد تأثر بشعر حارس اللغة العظمى الشيخ جواد الشبيبي، ليهتز لكلماته كبار الشعراء وفي مقدمتهم شاعر العرب الأكبر الأستاذ محمد مهدي الجواهري.

واصل الدراستين الحوزوية والأكاديمية في وقت واحد، ودرس المراحل كافة في النحو والأدب والتفسير والبلاغة وآيات الأحكام والنقد الأدبي وفقه اللغة العربية.

تخرّج على يديه أكثر من خمسمئة دكتور وطالب ماجستير وناقش أكثر من ثلاثمئة واثنتين وستين رسالةً علميةً في الجامعات العراقية.

يتنفس علمًا، كله عطاء، وإن أحيل على التقاعد إلا أن الأوساط العلمية لا زالت متلهفةً ومتعطشةً لمعينه العلمي الذي لا ينضب، إنه العلّامة محمد حسين الصغير.

مرحلة الشباب للعلامة محمد حسين الصغير؟

نشأتُ في النجف الأشرف في الخمسينات لدى أول شبابي في رحاب مرجعية الإمام السيد محسن الحكيم (قدس)، واعتمرت العمامة مبكرًا، وتجاذبت الدراسة في كلٍ من الجامع الهندي ومدرسة الخليلي الكبرى، حيث درست العربية والمنطق والبلاغة والفقه على أساتذةٍ متخصصين، مع حياةٍ بائسةٍ في الفقر والاتقاع ولكنه الصبر على مشكلات الزمان وطوارق الحدثان، ودرست علم الأصول عند السيد اسماعيل الصدر وهو الشقيق الأكبر للشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس)، وأخذت المعارف العامة لغةً وفقهًا وتربيةً بصلةٍ استمرت خمسين عامًا مع أستاذي المعظم السيد محمد علي الحكيم (قدس) والد المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله).

كيف كانت بيئة النجف الأشرف وتأثيرها على حياتكم؟

كانت بيئة النجف بيئةً شعريةً متميزةً في مناسبات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومواليدهم، فكرّست في المهرجانات والاحتفالات شاعرًا له مواقفه المعروفة في صد المبادئ الهدامة والآراء الوافدة بعد 14 تموز 1958، وأُبعدتُ إلى الكوت أربع سنوات وعُدت إلى بغداد ودخلت كلية أصول الدين وتخرّجتُ فيها وكنت من الأوائل، قُبلتُ في الدراسات العليا في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكنت الأول على دورتي فيها، إلا أن الفكر الوهابي كان مسيطرًا على رئاسة القسم فتركتُ ذلك ودرست الماجستير في جامعة بغداد والدكتوراه في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأنهيتُ بذلك الدراسة الأكاديمية وعُدت إلى النجف الأشراف وكنت خلال مرحلة الماجستير قد حضرتُ الدورة الخامسة في الأصول عند الإمام السيد أبي القاسم الخوئي (قدس)، وواصلتُ

الدراستين الحوزوية والأكاديمية في وقتٍ واحدٍ في كلية الفقه عام 1957، ودرستُ المراحل كافةً في النحو والأدب والتفسير والبلاغة وآيات الأحكام والنقد الأدبي وفقه اللغة العربية.

ما هي المناصب العلمية التي تسنّمتها خلال مسيرتكم العلمية؟

بعد أن أغلقت كلية الفقه التحقت بكلية التربية للبنات رئيسًا لقسم اللغة العربية وآدابها، وفتحت فيها الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه، كما فتحت من ذي قبل الدراسات العليا للماجستير في كلية الفقه.

وفُصلت من الكلية بتقارير كاذبةٍ معاديةٍ للحزب والثورة العراقية، وعدت إلى التدريس بعد سقوط نظام صدام حسين في كلية الفقه، وفتحت فيها الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه مرةً أخرى.

وأُحلت إلى التقاعد في السبعين من العمر، وما زلت ملتزمًا التزامًا أدبيًا في تدريس الدكتوراه حتى هذا العام في كلية الفقه لأنها الكلية الرابطة بين الحوزة والجامعة.

كم طالب دكتوراه وماجيستير تخرّج على يدكم؟

تخرج على يدي أكثر من خمسمئة دكتور وماجستير، وقد ناقشت إلى الآن ثلاثمئة واثنتين وستين رسالةً علميةً في الجامعات العراقية.

ما هي المؤلفات التي حرصتم على أن ترى النور؟

في فترة فصلي من الكلية من عام (1994-2004م) حدبت على تأليف موسوعة الدراسات القرآنية في أحد عشر مجلدًا، طُبعت عدة طبعات في بيروت، ونظرت إلى قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) "إني مخلّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، فحينما أكملت موسوعة الدراسات القرآنية بدأت في الكتابة عن أهل البيت (عليهم السلام) بعنوان "موسوعة

أهل البيت الحضارية"، وخصصت النبي والزهراء وكل إمام بالظاهرة البارزة في حياته الطاهرة، فكانت هذه الدورة أربعة عشر كتابًا في المعصومين الأربعة عشر، وألحقت بها المجلد الخامس عشر بعنوان "ديوان اهل البيت"، نشرت فيه قصائدي عن أهل البيت

(عليهم السلام) خاصةً، ابتداءً من الرسول الأعظم وانتهاءً بصاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف)، مع بعض القصائد في كلٍ من محمد بن الإمام علي الهادي وزينب بنت أمير المؤمنين وفاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم ورقية بنت الحسين عليهم السلام.

وبعد أن أكملت موسوعة أهل البيت الحضارية شرعت ومنذ عشر سنوات بتفسير القرآن العظيم بعنوان "التفسير المنهجي للقرآن العظيم"، وقدمت منه إلى الآن ثمانية مجلداتٍ وهي تُطبع في مطبعة العتبة العباسية المقدسة باحتضانٍ من الأخ العلامة السيد أحمد الصافي، والمجلد التاسع في التنضيد والمجلد العاشر طي التأليف، والله الموفق للسداد والصواب.

ذكرتم أنّ لكم ديوان شعر وتشاركون في الاحتفالات الشعرية، ما هي الجائزة الأقرب الى نفسكم وعن إي كتاب؟

لقد حصلت على عدة جوائز عالمية وكان أحبها إليّ الجائزة العلمية لأحسن كتاب في أهل

البيت (عليهم السلام) وكان عن كتابي "الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت".

من هو الشاعر الذي تأثرت به ؟

كنت متأثرًا بالشعر وبشعر حارس اللغة العظمى الشيخ جواد الشبيبي المتوفى سنة 1944م وشعر ولده الشيخ محمد رضا الشبيبي المتوفى سنة 1965م وشعر والدي الشيخ علي الصغير المتوفى سنة 1975م وشعر شاعر العرب الأكبر الأستاذ محمد مهدي الجواهري المتوفى سنة 1998م، وكانت صلتي به صلةً متميزةً إذ اعتبرني خليفته في الشعر العربي وكان يهتز إذا تلوت له شيئًا من شعري.

هل تحفظون شيئًا من شعركم؟

أشبيبة الإسلام سيري للعلا
قدمًا فدربك لن يضمّ عثارا
وتمسكي بالدين رأيًا صائبًا
وعقيدةً روحيةً وشعارا
واستوحي منه مواقفًا وصحائفًا
واستقري من آثاره أسفارا

ما هو الخط العام للعلامة محمد حسين الصغير؟

كان الخط العام في حياتي والذي أؤكد عليه مرارًا وتكرارًا أن منهجنا في حياتنا التشريعية متسلسل من النبي (ص) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ونواب صاحب الأمر (عليه السلام) والمرجعية العليا، ونضيف إلى هذا الحفاظ على وحدة المسلمين في عرض البلاد وطولها، وفي الكرة الأرضية جمعاء، وأرى أن أعرف الناس خيانةً هو الذي يفرّق بين المسلمين بلحاظٍ طائفيٍ أو مذهبيٍ أو إقليميٍ أو عشائريٍ أو مناطقي، عملًا بقول الله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

وهذا هو منهجنا في حياتنا في التقريب بين وجهات النظر الإسلامية، وإن المرجعية

العليا للإمامية هي مرجعيةٌ لكل المسلمين ولا نفرق بين أحد منهم على الإطلاق، لأننا في عصرٍ تكالبت فيه قوى الشر والاستكبار العالمي وإسرائيل على طمس معالم القرآن والإسلام بدعواتٍ خطرة تريد قلع الإسلام من الجذور وتفريق كلمة المسلمين وإشعال نار الفتنة بين صفوفهم، في قتالٍ دامٍ ومهاتراتٍ بلغت إلى حد سفك الدماء وتهجير الناس من ديارهم والقتل الشنيع دون ذنب بحجج وأخرى، والله المستعان على ما تصفون.

هل لا زالت الأمة غنيةً في صناعة قادة الفكر الديني والسياسي خصوصًا أنه لكم مؤلف في هذا المجال؟

حينما ألّفت كتاب "قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف" كان هنالك من العلماء الأعلام من تمحّضوا للدراسة الحوزوية فقط وشملهم الإمام السيد حسين الحمامي المتوفى سنة 1959م مع مشاركته في الجهاد، ومن تمحّض للقضايا الوطنية وهو علّامة العراق الشيخ محمد رضا الشبيبي المتوفى سنة 1965م، ومن جمع بين الدراسة والقيادة الجهادية وهم السيد محمد سعيد الحبوبي والميرزا محمد حسين النائيني والشيخ محمد جواد البلاغي والسيد عبد الله الشيرازي والسيد محمد الشيرازي والشيخ عبد الكريم الجزائري. ورؤيتنا لواقعنا اليوم أن الأمة كانت ولا تزال غنيةً بالكثير من القيادات الدينية والسياسية.

ما هي نصيحتكم للشباب، صُنّاع المستقبل وقادته؟

أنصح الشباب ..

بالالتزام بمبادئ النبي (ص) وأهل البيت (ع) والمنتجبين من الصحابة، والسير في ضوء توجيه المراجع العظام، وأن لا يُخدعوا عن دينهم بالمبادئ المتطرفة والآراء الدخيلة وبريق الدعايات المضللة، والله المسدد للصّواب.

محمد حميد
صحافي عراقي

بريشة: فرح الحاج دياب

الاختصاص الجامعي: احتار ولا تختار!

فرح الحاج دياب

ما زال طلّاب شهادة الثانوية العامة يرمون قبّعات التخرّج، ثم يرتمون في أحضان الحيرة باحثين عن اختصاصٍ جامعيٍّ يليق بطموحاتهم أمام واقعٍ صعب يحكم خياراتهم. هكذا يتأرجح الخرّيجون بين ما يحلمون به، وبين الظروف العصيبة، المكللة بتقصير كبير من جهة الدولة التي تُهمل إجراء دراساتٍ منهجيةٍ عن احتياجات السوق الفعلية، في ظل قصور كبير في التوجيه العلمي في معظم الدول العربية. إذ يبدو أنّه هو نفسه بحاجة إلى من يوجهه، على الرغم من توافر فرص التعلّم والإقبال الكبيرعليه.

مدير المركز الإسلامي للتوجيه: «العربة قبل الحصان».

يبدو أنّ الدّراسات المنهجيّة عن حاجات سوق العمل تغيب تمامًا في دول المنطقة، حيث التوجيه الذي تقوم به المراكز يراعي ميول الطلّاب وقدراتهم ورغباتهم، لكنّه لا يراعي متطلبات سوق العمل، كما يؤكّد مدير المركز الإسلامي للتوجيه والتعليم العالي الدكتور علي زلزلة، ويضيف: «عمليّة التوجيه في منطقتنا تعتمد على القراءة العمليّة للواقع، في ظل غياب الدراسات والأرقام، حيث يُنظر إلى كل اختصاصٍ نظرةً شاملةً يتم إسقاطها على احتياجات السوق».

هل من اختصاصات صحيحة في مسارٍ اقتصاديٍ خاطئ؟

الدول العربيّة تشبه مجموعةً من الأمهات المستهترات اللواتي يقضين يومهن مُجتمعاتٍ حول التنور، يرتشفن القهوة المرّة، وكلٌّ تغتاب الأخرى، فيما أولادهن وأبناؤهن تائهون لا أحد يمنّ عليهم ولو بنصيحةٍ صغيرةٍ قد تغيّر مستقبلهم.

«ربّما قد آن الأوان لأن تغيّر الدولة عقليّتها، من أجل تحقيق التنمية المستدامة»، هذا ما يقوله زلزلة، ويضيف: «إنّ رسم خارطة الطّريق وفق الدّراسات هو أمر مُلحٌّ جدًا، ولكنّه يحتاج إلى استراتيجياتٍ وتخطيطٍ اقتصاديٍ وتربويٍ ورؤيةٍ من قبل الدولة للموضوع، إذ إنّ الأنظمة القائمة على مبدأ الخدمات لا تشجع القطاعات الأخرى»، ويحيل سبب ذلك إلى الأنظمة الحرة غير الخاضعة لقوانين أو تشريعات تحمي القطاعين الصناعي والتجاري.

وعلى الرغم من ظهور عدّة اختصاصاتٍ جديدة، ما زالت أوّل الاختصاصات التي تستحوذ على ذهنيّة الطلّاب هي الطب والهندسة، فهي تمنح مرتاديها قيمةً اجتماعيّةً مضافةً كما يظنون، في حين يكون طالب الطب طابةً تتقاذفها المواد الصّعبة التي لا جلد ولا اهتمام حقيقي له

بدرسها، وطالب الهندسة الذي تُهندَس حياته على مقاسات أمه وجاراتها، يتفاخر أمامهن ويندب من ورائهن، تمامًا كما يحصل مع الطالب أحمد المصري

الذي يدرس طب الأسنان في الجامعة اللبنانيّة ليصير طبيبًا كوالده، «أعرف أنّه لدي القدرة على نيل الشهادة، ولكن طب الأسنان لم يكن شغفي.. أحاول أن أقنع نفسي به، خاصةً حين أدخل عيادة أبي فأراها مكتظةً بالمرضى بينما لا يجد أصدقائي أي فرصة عمل، وأتساءل دائمًا، من كان سيرث عيادة والدي ومعدّاته وأجهزته وسمعته في حال لم أكن طبيبًا».

بعد الطب والهندسة تأتي الاختصاصات المتعلّقة بإدارة الأعمال والمصارف ورؤوس الأموال وإدارة الشّركات، والتي روّجت لها الشركات المتعددة الجنسيات، ويتّجه معظم الطلاب نحوها دون أن يعرفوا مقدار التخمة في هذا القطاع وحاجاته الحقيقية، هذا ما يؤكّده الشاب محمد الوجيه المتخرّج من كليّة إدارة الأعمال في جامعة القاهرة: «كنت أظن أنني بشهادتي سأدير شركةً ما، لم أكن أعلم أن كل ما سأديره هو مطبخ «مطعم الخال»»، تظهر ضحكة محمد الساخرة محمّلةً بالقهر، يواسي نفسه: «لا بأس، في النهاية لا فرق بين الأوراق والأواني».

خيارات الطلبة: العين بصيرة واليد قصيرة!

صحيح أن هامش اختيار الأهل لاختصاصات أبنائهم بدأ يضيق، وباتت فسحة الاختيار رحبةً أمام الخرّيجين والخرّيجات، كما يؤكّد زلزلة، «إلّا أنّ الأمر لا يخلو من التأثير النسبي، ومحاولات التوجيه الحثيثة ليسير الأبناء في الدروب التي يتفاخر بها الآباء أمام جيرانهم وأقاربهم»، مستندًا إلى دراسة أجراها مركز التوجيه، خلُصت فيها النتائج إلى أنّ «80% من الطلّاب اختاروا اختصاصاتهم التي يريدونها دون أي تأثير من الأهل، بينما 20% فقط التزموا بقرار الأهل»، من بين هؤلاء الطالبة لمار يونس: «منذ صغري يقول أبي أنه عليّ أن أصير مذيعةً، فهو يعتقد أن كل ما يتطلبه الأمر وجه جميل، اليوم وأنا في سنتي الدراسية الثانية، أجد نفسي عاجزةً تمامًا عن إتمام حلمه الوردي».

موضة الاختصاص!

عدم تمكن الكثيرين من دراسة ما يريدونه يدفعهم إلى التوجه نحو اختصاصاتٍ محددةٍ دون تفكير مسبق وبطريقةٍ ارتجاليةٍ تبعًا للفورات التي تحصل بين الحين والآخر، وحسب «موضة الاختصاص» الدارجة، فتارةً تجد أنّ الجميع قرروا أن يصيروا «محامين»، وتارةً تجدهم أصبحوا مهندسين... وما بالك بعدد الإعلاميات والإعلاميين المستقبليين! هذه الفورات هي ما تولّد مزاحمةً تظهر عواقبها لاحقًا من خلال العدد الهائل من المتخرّجين نسبةً إلى متطلبات سوق العمل...

بين الجامعة الوطنيّة والجامعة الخاصة

وكما يولد الأغنياء وبين أصابعهم أقلامٌ

من ذهب، يولد الفقراء وبين أصابعهم أقلامٌ من الخشب تأكل من تشققات أيادي أهاليهم، فتكون الجامعة الوطنية خيارهم الوحيد – والتي لا شك أنّها ذات مستوًى مرموق – إلّا أنّ المعضلة تبدأ من عدم انتشار كلّياتها في جميع المناطق، هذا ما تؤكّدة رانيا القاق التي تسكن في ضواحي البلد: «أحرزت معدّل 17 في شهادة الثانوية العامة، كنت أحلم أن أدرس الصيدلة، لكنّ عائلتي لم تكن قادرةً على دفع تكاليف انتقالي إلى العاصمة بين سكنٍ ومواصلاتٍ وغيرها... هذا عدا عن قلقها إزاء عيشي لوحدي هناك... إذ يبدو الأمر منافيًا للعادات والتقاليد، وفي الوقت عينه، لم تكن قادرةً على دفع تكاليف التحاقي بجامعة خاصة قريبة من منزلنا... الأقساط مرتفعة جدًا».

إلى جانب الأوضاع المعيشيّة الصعبة، يعتبر نقص الفيتامين «و» – واسطة – مشكلةً أخرى تحول دون انضمام الكثيرين إلى قافلة الاختصاص الذي يريدون، فلا يخفى على أحد أنّ الالتحاق ببعض كلّيات الجامعة الوطنية يحتاج إلى «هاتف من فوق»، خاصةً في تلك التي لا تستقبل إلّا عددًا محدودًا من الطلبة، وفق ما يؤكّد الشاب فؤاد كريم، «كل كلّيةٍ تابعةٌ لحزبٍ ما أو تيارٍ سياسيٍ معيّن، والواسطة تأخذ مجدها في امتحانات الدخول وعلى عينك يا تاجر».

«أراد هتلر أن يلتحق بأكاديميّة الفنون، وقد كان رسّامًا مبدعًا، إلّا أن خبر رفضه نزل عليه كالصاعقة، فتطوّع في الجيش الألماني، ليتحوّل بعدها إلى سفّاح نازي»، هكذا يبدأ الشاب علي ناصر الدين حديثه ساخرًا، ويكمل «أنا أيضًا رُفضت في كلّية الهندسة في الجامعة اللبنانيّة رغم أنني متفوّق في الرياضيات». ويضيف مازحًا: «لا أدري، ربّما سأتحوّل إلى سفاح إن تمّ رفضي في العام المقبل أيضًا».

دراسات غائبة وتوجيه يحتاج إلى من يوجهه

يبدو أنّ الدول العربية مصابةٌ جميعها بمرض نقص البحوث، فوزارة العمل ومراكز البحوث الرسمية المختلفة في لبنان مثلًا، لا تُجري دراساتٍ مسحيةً لسوق العمل كما تفعل كل المؤسسات المشابهة في الدول المتقدمة. وبالتالي فهي لا ترسم مخططًا توجيهيًا لحاجات السوق، يمكّن الخرّيجين من الاستناد إليه عند اختيارهم اختصاصاتهم، فلا أرقام مفصلة عن المهن المتوافرة وعددها، ولا عن نسب النقص والفائض في كل منها، ولا توازن بين المعروض والمطلوب، هذا ما يؤكّده المدير السابق لمعهد العلوم الاجتماعيّة في الجامعة اللبنانية الدكتور علي زيتون، مضيفًا: «هناك فجوة حقيقية بين التعليم وسوق العمل تبدأ من غياب الدراسات والإحصاءات المنهجيّة».

أمّا الدكتورة في كلّية الآثار نيفين الشويري، فتحمّل المسؤوليّة للجامعات الخاصة، «التي كلّ ما يهمها البحث عن الرّبح»، معتبرةً أنّ هذه الجامعات تفتتح أقسامًا لاختصاصات لا يحتاجها السوق وتستقبل أعدادًا هائلةً وتخرّجها على مبدأ «ادفع تنجح»،

متسائلةً عن مصير الطلّاب الذين ما يزالون حتى اليوم يدرسون الفلسفة وتاريخ اللغات والجغرافيا: «أين سيعمل هؤلاء؟ وما الفائدة من اختصاصاتهم التي باتت ثقافةً عامة؟». يجيب مدير المركز الإسلامي للتوجيه والتعليم العالي على سؤال الشويري، معتبرًا «أنّه لا يمكن الاستغناء عن أي اختصاص، فهي تعطي قيمًا وخامةً علميّةً مهمّةً شرط تحديثها وتوظيفها بطريقة صحيحة، وربطها مع الاختصاصات الأخرى، فبدل تدريس الفلسفة الإغريقيّة، يمكننا دارسة فلسفة الإدارة، لا الاستغناء عن الفلسفة كلّيًا، وهي أمُّ لكل العلوم».

سجّل اختصاصين وستحصل على الثالث مجانًا!

لأنّ التعليم هو الآخر بات يقوم على الدعاية، تقوم الجامعات الخاصة بإعداد لقاءات مع طلّاب المدارس محاولةً استقطاب أكبر عدد منهم، فتعرّفهم على الاختصاصات الجامعية وأسعارها والمدة المطلوبة لإنهاء كل منها ومجالات العمل فيها... مستفيدةً من إبراز نفسها والترويج لاختصاصاتها وفق ما يؤكّد زيتون، مضيفًا «المفارقة أن الجامعات الخاصة تقيم لقاءاتها في المدارس الخاصة، لأنّها تعلم أن لا خبز لها في المدارس الرسميّة حيث الطّلاب غير قادرين على تسديد الأقساط المرتفعة».

ولكثرة الإعلانات التي تراها على التلفاز، وتلك المرشوشة على الطرقات، تشعر وكأنّ الجامعة ستقدّم لك اختصاصًا مجانًا إن سجّلت في اختصاصين لديها!

أمام غياب مبادرة الدول، واستيلاء الجامعات الخاصة على السوق الذي يُباع فيه مستقبل الطلاب، يبدو جديرًا بالطالب نفسه معرفه حاجاته وميوله الحقيقية بما يتوافق مع سوق العمل الذي يعتقد أنه يمكن إيجاد فرصٍ مناسبةٍ فيه.

ويبقى على وزارات التربية أن تتعامل مع الطالب كإنسانٍ مستقبلي، يحتاج إلى أن يبني مهنته، لا كآلة يجب عليها النجاح فقط لتصاب بعدها بالصدأ نتيجة التعطّل عن العمل.

فرح الحاج دياب
صحافية لبنانيّة

عندما يلعب الطفل على التناقضات بين الوالدين

محمد باقر كجك

يشبه المنزلُ مصنعًا بإمكانه إنتاج أجمل ما في الحياة كلها: الحياة نفسها. صحيح أنه يشبه المصنع، لكنه مصنع ذكيٌّ وعاطفي، له عقل وقلب وروحٌ. ويقوم علم التربية على قواعد حقيقيةٍ وحيويةٍ جدًا، تحاول تطوير محركات هذا المصنع، وصياتنها، والسهر على جودة العملية التربوية التي تحصل في المنزل.

يؤكد علم التربية الأسرية على ضرورة مراقبة الوالدين لسير العملية التربوية في المنزل، وهي عمليةٌ ذات طابعٍ عقلانيٍ وواعٍ، إذ يحتاج الأمر دائمًا إلى الانتباه على الأسس المنطقية والعقلية التي ينبغي أن تسير في ضوئها العملية التربوية، وكذلك محاولة تطويرها وتحسينها ورفع المعيقات الطارئة من أمامها كي تسير بانتظام.

إذًا، تحديد العوائق ومحاولة رفعها بشكل واعٍ ومدروس هي خطوةٌ دائميةٌ في حياة الأسرة.

سنتناول في هذه المقالة مشكلة وجود تناقضات بين الوالدين داخل الأسرة، وسنقوم بشرحهما وتوضيح أسبابهما،وكيفية التخلص منهما.

الاختلاف في الآراء التربوية بين الأم والأب

أحيانًا، قد يختلف الأب

والأم في تشخيص "الجيد" و"السيئ" من بعض السلوكيات أو القيم. فعلى سبيل المثال، قد يأتي الأب ليقول للولد: «أنت لم تنل علامةً عاليةً في مادة الرياضيات». هنا، الأب يشخّص أن حصول الولد على علامةٍ عاليةٍ في الرياضيات هو أمرٌ هام بالنسبة إليه كأب. قد يقوم الولد بالنظر في عيني أمّه مستدرجًا إياها إلى الفخ العاطفي المعتاد. فتحاول الأم بدورها – خصوصًا مع كون الولد قام باللعب على الوتر العاطفي، وإظهارها بمظهر المنقذ والشفيع له – أن

> يؤكد علم **التربية الأسرية** على ضرورة مراقبة الوالدين لسير العملية التربوية في المنزل وكذلك محاولة تطويرها وتحسينها ورفع المعيقات الطارئة من أمامها كي تسير بانتظام.

تلمّح أو تصرّح للأب فتقول له: «لا تضغط عليه، في نهاية الأمر الولد يحاول جهده»، وهكذا سيُصرّ الأب على موقفه لأنه مضطرٌ للدفاع عن «قيمةٍ" تربويةٍ يعتقد أنها صواب (نيل العلامة العليا)، وستضطر هي كذلك للدفاع عن قيمةٍ تربويةٍ أخرى (عدم إجبار الولد على فعلٍ يكرهه). في الحقيقة، المستفيد الأول والأخير من هذه الحالة، هو الولد! بينما سيقع الأب والأم في مشادةٍ كلاميةٍ أو توتر في أجواء المنزل.

حسنًا، ما هي المشكلة هنا؟

إن سوء تقدير الأهل لذكاء الطفل، وقدرته على صناعة الظرف الخاص به من أجل تخلصه من مشكلةٍ ما أو حالةٍ «سيئةٍ" يعاني بها، ستوقع الأهل والطفل في مشاكل كثيرة. يقول Patrick Davies في كتابه «Marital Conflict and Children: An Emotional Security Perspective"[1]: «عندما يستخدم الآباء مرارًا وتكرارًا استراتيجياتٍ معاديةً مع بعضهم البعض، فقد يصاب بعض الأطفال بالذهول والقلق واليأس. وقد يتفاعل آخرون مع الغضب، فيصبحون عدوانيين ويطوّرون مشاكل السلوك في المنزل وفي المدرسة. يمكن للأطفال تطوير اضطرابات النوم والمشاكل الصحية مثل الصداع والمعدة، أو قد يصابون بالمرض

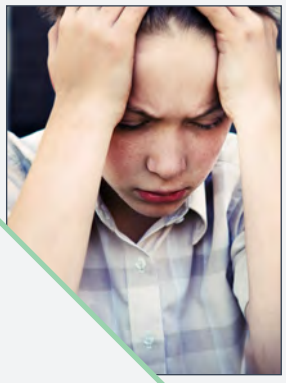

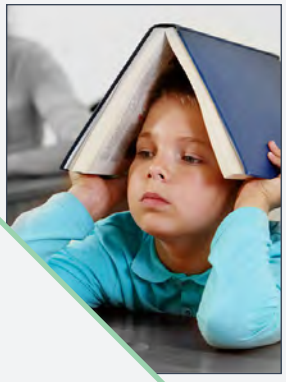

بشكل متكرر. ويمكن أن يتداخل إجهادهم مع قدرتهم على إيلاء الاهتمام ما يسبب خلق مشاكل تعليمية وأكاديمية في المدرسة. فمعظم الأطفال الذين ينشؤون في بيئات الصراع المدمر يواجهون مشاكل في تكوين علاقاتٍ صحيةٍ ومتوازنةٍ مع أقرانهم. حتى أن علاقات الأخوة تتأثر سلبًا.

ففي عام 2002، بحث الباحثون رينا ريبيتي، شيلي تايلور، وتريزا سيمان في جامعة كاليفورنيا في 47 دراسةً ربطت تجارب الأطفال في بيئاتٍ عائليةٍ محفوفةٍ بالمخاطر بقضايا لاحقةٍ في سن البلوغ. ووجد الباحثون أن أولئك الذين نشؤوا في منازلَ ذات مستوياتٍ عاليةٍ من الصراع يعانون من مشاكل صحيةٍ بدنيةٍ أكثر ومشاكل عاطفيةٍ ومشاكل اجتماعيةٍ في وقت لاحق من الحياة، مقارنةً بمجموعات

> إن **سوء تقدير الأهل** لذكاء الطفل وقدرته على صناعة الظرف الخاص به من أجل تخلصه من مشكلة ما أو حالة سيئة يعاني منها ستوقع الأهل والطفل في مشاكل كثيرة.

السيطرة. كما أن البالغين من هؤلاء كانوا أكثر عرضةً للإبلاغ عن مشاكل الأوعية الدموية والمناعية، والاكتئاب والتفاعل العاطفي، والاعتماد على المواد المخدرة، والشعور بالوحدة، والمشاكل مع العلاقة الحميمة.

وعلى كل حال، ينبغي هنا على الأهل أن

1- E. Mark Cummings & Patrick T. Davies, Marital Conflict and Children: An Emotional Security Perspective, The Guilford Press; 1st edition (September 1, 2011).

يدققوا كثيرًا في القيم التربوية المشتركة التي سيقومان دومًا بتطبيقها أو محاولة تربية الاولاد عليها.

أسباب التناقض بين الوالدين:

قد ترجع أسباب الخلاف بين الوالدين على القيم التربوية إلى جذورٍ عدة:

- الاختلاف في المستوى الثقافي والأكاديمي بينهما.
- الاختلاف في التجربة الحياتية والمواقف الخبروية التي تعرض لها أحدهما.
- التاريخ العائلي الخاص بأحدهما قبل الزواج، وتأثير ذلك على تقييمه.
- الخلفية الفكرية والعقائدية والقيمية التي تشكل خلفية تصرفات أحد الزوجين.
- الضغط الحياتي اليومي ونوعيته.
- مشاكل صحية ونفسية خاصة.

وهذه الأسباب، مضافًا إلى الحاجة الحقيقية إلى سبرها واكتشافها من قبل كلا الوالدين، فهي كذلك بحاجةٍ إلى البحث والتشاور بينهما بكل صراحة.

فعلى سبيل الإشارة، في المثال أعلاه، قد تشكّل قيمة «الربح السريع» قيمةً عليا عند الأب الذي نشأ في بيئةٍ تحبّذ تحصيل الربح المادي بأسرع وقت وأقل كلفةٍ وخسائر، وبالتالي فإن تأخر ولده في الدرس عبارةٌ عن استثمارٍ اقتصاديٍ فاشل. وهذه القيمة التربوية قد لا تكون مورد اتفاق مع زوجته، وبالتالي تؤثر على حكمهما في هذه القضية معًا. وهنا، يكون الولد هو الضحية.

الطفل لا تمرُّ الأمور أمامه مرور الكرام، بل كلّ ما يحدث أمامه يشكّل بالنسبة إليه إما تهديدًا سلبيًا أو فرصةً إيجابيةً بالنسبة له.

خطوات تساعد في الحل:

تقول غلوكوفت وونغ (Glucoft Wong) إن المنزل هو أرض التدريب للحياة الحقيقية: «دائمًا هناك عيون صغيرة تراقب، وآذان صغيرة تستمع»[1].

هنا خطوات ممكن أن تؤسس لحلول:

توفير الدعم الدائم: اجعلها قاعدةً أنه إذا كان أحد الوالدين يقوم بتنيظم شؤون الأطفال، على الوالد الآخر أن يقوم بدعمه، حتى لو كان لا يوافقه. إذا كنت لا تفعل ذلك، فإن ذلك سوف يظهر لطفلك أن والديه ليسا فريقًا موحدًا، وهذا ما سيقوض سلطتك.

اترك الأكثر حماسةً لحل المشكلة يقوم بدوره: من الذي يشعر بقوة أكبر حول القضية المطروحة؟ إذا كنت أنت وزوجك تحملون وجهات نظر مختلفةً حول شيءٍ ما ولا يستطيع أحدكما الوصول إلى الجانب الآخر من القضية، فإن الذي يشعر أكثر بحماسٍ حوله ينبغي أن يقوم هو بالمهمة.

تحدث عن قرارات التربية والتنشئة عندما تكون هادئًا: عند الاستماع بهدوء إلى وجهة نظر الآخر دون أن تكون انتقاديًا، ستكون عندك فرصة أفضل في التأثير على قرار زوجك. تذكر، ليس هناك شيء اسمه «الحقيقة المطلقة» دومًا في التربية المنزلية، اللهم إلا في مواضع محدودة، وبالتالي فإن هناك العديد من الطرق للتفكير في الأشياء، وليس فقط طريقتك.

كيفية الاستماع. فهو يساعد الأزواج على إعطاء بعضهم البعض بضع دقائق، والحديث فقط عن سبب هذه القضية المعينة. كل شخص لديه رغباته الخاصة، وتوقعاته الخاصة، وتقاليده الخاصة، ورؤيته الخاصة للمستقبل. عليك أن تتحلى بالقدرة على قضاء بضع دقائق تخُصّها

1- Diana Divecha, "What Happens to Children When Parents Fight" www.developmentalscience.com, 2014.

من المهم جداً أن يستفيد الوالدان من **التجارب السابقة** لفهم منطق الإشكال وآثاره السلبية عليهما وعلى الأطفال.

لسماع الشخص الآخر، وأن تكون قادرًا على العثور على أرضية مشتركة. يمكنك أن تقول: «ماذا يمكننا أن نفعل للتفاوض على هذا؟» أو «أسمعك. الآن أنا أفهم لماذا هذا مهم جدًا بالنسبة إليك. لا أشعر بالقوة، ولكنني سأؤيد قرارك». والأهم من ذلك، سوف تعرف في قرارة نفسك أنك قد سمعت!

الاتفاق المسبق على خطوات الحل: من المهم جدًا أن يقرر الوالدين، وإن وقعا في المشكلة أكثر من مرةٍ ولم ينجحا، أن يستفيدا من هذه التجربة في فهم منطق الإشكال، وكيفية سيره، وآثاره السلبية عليهما وعلى الأطفال. وبالتالي، يتفقان على أنه في اللحظة التي يظهر فيها اختلاف بينهما على أسلوبٍ تربوي، أو قيمي، أو تقييمٍ لعملٍ قام به الطفل، فإنّه من المهم جدًا أنه إذا بادر أحد الطرفين إلى توجيه الطفل ومساعدته أو إرشاده إلى ما ينبغي أو ما لا ينبغي فعله، وكان ذلك مخالفًا لما تتوقعه، فلا تقم بمقاطعته أمام الطفل. وكذلك، لا تغضب، ولا تظهر الامتعاض. لأن ذلك سيشوش فكرة الطفل عما يجب عليه فعله: فمن هو على الصواب بينكما؟ الأم أم الأب؟ وكذلك إذا وضع أحد الوالدين قوانين تتعلق بالنظام المنزلي، دون اتفاق مسبق، فلا يصح أن يقوم الطرف الآخر بالاعتراض علنًا، وبطريقةٍ قاسيةٍ وغير مبررة، لأن ذلك من شأنه أن يسيء إلى فكرة النظام كذلك. ليس عجبًا أن نجد الأطفال فيما بعد وقد أصبحوا شبابًا لا يستطيعون التقيد بأي نظام، لأن النظام في خلفيتهم الفكرية أمرٌ قابل للكسر والتجاوز دومًا.

محمد باقر كجك
كاتب وباحث في الفكر التربوي – لبنان

كيف تصبح شخصيةً مبادِرةً في سبع خطوات؟

خضر فرحات

يقول الدكتور إبراهيم الفقي[1]: «النجاح يكون من نصيب أشخاص تحلّوا بالشجاعة، والهروب هو السبب الوحيد للفشل» ويؤكّد ليو روستن[2]: «الشجاعة هي القدرة على مواجهة كل ما يمكن تخيّله».

كيف اخترع الإنسان الطائرة؟ الواقع أن الدافع كان خيالًا فرديًّا دفع صاحبَه لمحاولة الطيران. امتلك الشجاعة ووثب الوثبة الأولى، فتبِعَتها وَثباتٌ أوصلت البشرية إلى ما وصلت إليه. لقد اخترق البشر الفضاء! فهل هناك شيء يمكن أن تتخيلَه ولا تستطيع فعلَه؟

كلمةٌ واحدةٌ إليك فتلقّفها: «افعل كلّ ما تظنّ بأنّك لستَ قادرًا على فعلِه. حتى لو فشِلَت التجربة الألف، قم بالتجرُبة الأولى بعد الألف». وكلّ دقيقة هي فرصة للتغيير.

إذا هبت أمرًا فقع فيه

لقد حان الوقت لتمتلك زمام حياتِك وتوجّه سفينتَك إلى الوجهة التي تريدُها. الواقع أننا عند تكالُب الضغوط وعصف الظروف، من البديهيّ أن نلجأ إلى أوّل مرفأ يمنحُنا النجاة من الغرق. لكن ثمّة من يبقى غارقًا طوال حياته في سلسلةٍ متّصلةٍ من المواقف والأحداث التي تضطّره إلى التعامل معها، فقط بسبب افتقاده الجرأة بأن يقول «لا». وفي هذا السياق، تأمّل قولَ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين قال في نهج البلاغة: «إذا هبت أمرًا فقع فيه، فإن شدة توقّيه أشدّ من الوقوع فيه».

> ثمّة من يبقى **غارقًا** طوال حياته في سلسلة متصلة من المواقف والأحداث التي تضطره للتعامل معها فقط بسبب افتقاده الجرأة بأن يقول "لا".

عدّد ما خسرت

وإن سألت نفسَك، ما الذي سأحققه من كوني شجاعًا مبادرًا مقدامًا؟ فعندها ارجع إلى نفسك وخاطبها: ماذا خسرتُ لعدم كوني شجاعًا ومقدامًا؟ ثم عدّد خساراتِك حين تخلّيت عن فرصة عمرِك في دراسة الاختصاص الذي تحبه مثلًا، فقدّمت رغبة أهلك أمام رغبتك! وحين خسرت نفسك عندما استعبدتها في وظيفةٍ لا ترتقي إلى مستوى إمكاناتك ومواهبك! وحين وحين حتى تكثر الأحايين التي أورثتنا الندم...

ثم عدّد ما كنت ستكسبه لو كنت شجاعًا، وستُبادر وتتّخذ أكثر القرارات شجاعةً في حياتك.

1- ابراهيم الفقي: خبير التنمية البشرية والبرمجة اللغوية العصبية، وواضع نظرية ديناميكية التكيُّف العصبي ونظرية قوة الطاقة البشرية.

2- ليو روستن: مؤلّف وصحافي أمريكي.

ولكي تعين نفسك على ذلك خاطبها وقل: «هل هذا هو الشخص الذي أردت أن أكونه؟»، ثم انظر حولك وقل: «هل هذه هي الحياة التي أردتُها؟»، إذا كان جوابك نعم، فلا تكمل القراءة فنحن لا نخاطبك. وإن كان جوابك «لا»، فسر معي قليلًا.

لذلك يجب أن تتحلى بالثقة لتقوى إرادتك. كيف؟

عليك بالتدرّب لكسب الثقة بنفسك. حدّث نفسَك بإيجابية كلما نجحتَ في أمرٍ خالفك فيه الجميع: «كم أنا مصيب». أو: «نعم أخفقت لكني استفدتُ من هذا الإخفاق لتحسين خطوتي الآتية نحو النجاح».

كيف تصبح شخصيةً مبادرةً في سبع خطوات:

● **كُن واعياً وبصيراً** بمقدار ما تعرِفه وتتابعُه في أي مجالٍ من مجالات الحياة، ستكتشف الفرص فيه، وتتضح لك الإمكانيّات ضمنه، وذلك أول شرطٍ من شروط المبادرة. فالجاهل بالأوضاع الاقتصادية مثلًا، ومن لا يتابع حركتها وتطوراتها، لن يبدع أفكارًا حول الاستثمار، ولن يدرك مواقع الاستفادة والربح، وحتى لو امتلك المال والثروة، لكنه لا يلتفت إلى أفضل سبل تنميتها وتفعيلها.

طريق الشجاعة يبدأ باتخاذ القرارات: من اليوم ابدأ باتخاذ القرارات في كل شيء.

● **ابدأ باتخاذ القرارات** لا تتردد وتهتز. نعم، ستصيب وتخطئ. ستنجح وتفشل. إلا أنك ستبدأ في اكتشاف أخطائك لتتجنبها في قراراتِك اللاحقة، وستعرفُ السبيلَ إلى القرارات الصحيحة الناجحة. ويجب أن تدرك أن الوضعَ المستقرّ والآمن سيُغريك بعدم تغيير أي شيءٍ في حياتك، فتبقى في الوظيفة نفسِها لمدة ثلاثين سنة. فالتفت إلى أن تجربة الأمور الجديدة هو ما يجعلك تحصل على نتائج جديدة. قد تفشل في بداية الأمر، لكن اعلم أن حالات الفشل والإخفاق هي مقدماتٌ للنجاح المؤكد. فالمخاطرة الحقيقية في هذه الحياة هي الحياة بلا مخاطرة.

● **قوِّ إرادتك:** لن تستطيع تنفيذ أي شيءٍ دون إرادة. ستوسوس لك نفسك وتثبط عزيمتك.. ارجع... قد لا تنجح... على ماذا تقدم يا مجنون!.. سيستغرق هذا العمل وقتًا طويلًا.. ما تفكر فيه مستحيل.. الوضع جيدٌ وليس بحاجة إلى تغيير... وسيتعاون المحيطون بك مع نفسك عليك ويقولون: من أنت لتفعل كذا؟ غيرك لم ينجح، أستنجح أنت!

وهل الثقة إلا تدريبٌ على ممارسة الحياة بتفاؤلٍ وإيجابية؟ لذلك، ثق بإمكانياتك وقدراتك وطريقة تفكيرك تكن أكثر المحظوظين في الحياة.

● **كن مبادرًا:** بادر إلى العمل وفق خطةٍ وهدفٍ لتكون زمام أمورك بيديك، ولا تدع الفرصة تدفعُك إلى العمل وفقًا لأهداف الآخرين واستراتيجيّاتهم. اقهر الظروف ما استطعت إلى ذلك سبيلًا. فليس قطعيًّا أن من وصل وارتفع هو أذكى منك أو أقدر. لكنّه سعى وعمِل وواظب، حين تثاقل آخرون وركنوا إلى الأرض.

● **تغلب على مخاوفك:** قد تمر بتجارب سابقةٍ فاشلةٍ في الحياة ولا تريد الفشل من جديد. ثمّة مسارين اثنين بحبكتين مختلفتين:

الأول أن تنتظر مع المنتظرين. فتدع الآخرين يمرون من أمامك رافعين شارة

النصر. وتتمتع بالنظر إليهم. ثم تستمر في إبداء الحجج والأعذار حتى يدرككَ الموت.

والثاني أن تكون شجاعًا فتقفَ في الصفوف الأماميّة وتتغلّب على ترسّبات الماضي. فتنزع من نفسك المخاوف المتضخّمة التي تسجن أحلامك فيها. فالوهم قاسٍ وأنيابه حادة، وليس عيبًا أن تستعين باستشارةٍ أو طبيبٍ نفسي. كلنا لديه صراعاتٌ نفسيةٌ وإن كانت حدّتُها متفاوتةً بين شخص وآخر. والأهم، أن تتخلّص من أسر الماضي، وتقاوم التفكير فيه، بنزع صُوَرِه من ذهنك بالمجاهدة والإرادة. وإلى الأمام.

● **التزم بالخطة الموضوعة:** والتزم بالوقت المحدّد لكلّ عمل. ولتكن أهدافُك واضحةً ومحدّدةً لا فضفاضةً وعشوائيّة. لا يغلبنّك الاضطراب، وحافظ على هدوئك وتفكيرِك العميق. استثمر الإمكانيّات المتاحة بأقصى طاقة.

● **اسعَ لنيل الدعم:** لم يفت الأوان بعد لتصبح الشخص الذي أردتَه طوال حياتِك. طالب بالحياة التي تريدُها وترغبُها وتستحقّها. طالب بحقك في الحياة. بحقك في أن تنقل أحلامك من عالم الخيال إلى عالم الواقع والعمل. طالب نفسك بالالتزام بما تريد تحقيقه. اسعَ إلى نيل الدعم ممن حولك واستعن بهم. أصدقاؤك، زوجتك، أولادك. أو على الأقل امنعهم من أن يكونوا عثرةً في طريقك. والأهمّ: امتلك قلبًا أشدّ من الشدائد التي ستواجهها.

خضر فرحات
ماجستير في علم الاجتماع السياسي – لبنان

طالب نفسك
بالالتزام بما تريد تحقيقه

عباس دياب

مطور برنامج المايكروسوفت

فاطمة سلمان

مشوار التميّز العلميّ العالميّ يبدأ بخطوة. وقد خطاها الشاب اللبناني عباس دياب من خلال تطوير برنامج لشركة «مايكروسوفت». فرشّحته الشركة لمسابقة التميّز العالميّة.

مجلّة «مع الشباب» زارت الشاب ذو التسعة عشر عامًا وأجرت معه هذه المقابلة:

ماذا تخبر الشباب عن نفسك؟

أنا شاب في مقتبل العمر، لا يؤمن بالمستحيل. فعند الإصرار والعمل جاهداً سأتمكّن من إنجاز أي شيء. وهذا من نقاط قوّتي، بالإضافة الى التوكّل على الله والإيمان بقدرتي على الانجاز.

هل لديك نقاط ضعف؟

كلّ انسان لديه نقاط ضعف. ونقطة ضعفي الخوف من الفشل. لا أحدّ يحبّ أن يُسجَّل عليه بأنه فشل في شي ما. مع العلم أنّني أدرك جيّدًا أنه ليس ثمّة نجاح بدون فشل. وأن الفشل قد يكون مُلهِمًا أحيانًا.

ما هي دوافعك في الحياة؟

النجاح والتألق الدائم انطلاقًا من الآية الكريمة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) صدق الله العلي العظيم.

أعطنا مثلاً عن هدف حققتَه وكيف وصلت إليه؟

كان ذلك عندما كنت في صف ال Bp2 في معهد جويا[1] الفني عام 2015، ادرس الكهرباء. وضعت المركز الأوّل على مستوى لبنان هدفًا لي. وحصلتُ عليه في الامتحانات الرسمية من خلال المثابرة والإصرار والمتابعة.

ما كان الدافع لتطوير برنامج المايكروسوفت، اشرح لنا عن هذا الانجاز؟

لمعت الفكرة عندما كنت أدرس دورة تخصّصية تابعة لشركة مايكروسوفت. فكان عليّ تقديم مشروع للتخرّج للحصول على شهادة الدورة. وكان المشروع يتطلّب الكثير من الوقت. فقمت بتطوير برنامج Microsoft document لأختصر على نفسي الوقت وأسهّل العمل وأُبرِز مهاراتي في هذا المجال. وبعدها كنت أبحث في الانترنت وقرأت عن المسابقة العالميّة التي تنظّمها الشركة. فأرسلت لهم إنجازي وقاموا

1- قرية تقع في جنوب لبنان

بترشيحي للمسابقة. وبسبب هذا الانجاز أنا أشارك اليوم أيضًا بـ «مبادرة مليون مبرمج عربي» وجائزتُها مليون دولار.

هل وجدت مكاناً مناسباً لتنمية مواهبك وقدراتك؟

في زمننا هذا، ومع غياب المعنيين عن رعاية المواهب والطاقات، أجد أن الإنترنت هو المكان الأنسب لتنمية القدرات تنميةً ذاتية. وذلك من خلال محركات البحث Google وBing وموقع YouTube .

هل تفضل العمل مع مجموعة، أم بمفردك؟

أنا الآن في مرحلة الإنجازات الشخصية لذلك لا أفضّل العمل مع مجموعة. لأن الشخص يجب أن يكون وحيداً لكي يصبح لديه إنجاز شخصي. لكن العمل مع مجموعات ضروري وله إيجابيات . منها وجود عدة أفراد لديهم مواهب ورؤى متعدّدة، فيتمكنون من خلط مواهبهم وتطوير أفكار بعضهم البعض.

أين ترى نفسك بعد ٥ سنوات من اليوم؟

أرى نفسي إن شاء الله في أهم مراكز التكنولوجيا وعالم البرمجيات بسبب إصراري على النجاح.

فاطمة سلمان
محررة

واستقرّت روحي

مريم ميرزادة

يومَ وفاتي لا أذكر متى كان، أعتقد مضى عددٌ من السنين.. ربما عقود.. أذكرُ أصواتَهم فقط.. أفرادٌ مثلي يحبونني وتصعبُ عليهم مفارقتي. كانت هناك عطورٌ ممتزجة فوق رأسي. كان احتشادُهم يرعبُني. وتلك العطور، رائحةُ الدمع والعرق والورود البيضاء. سحقًا لهم!! شوّهوا عطرَ القرنفل والمسك الأبيض الذي كان يروقُ لي. من قال لتلك القريبة الغبية إنّ روحي ستسرُّ لإحضارها تلك الباقة هنا معها. لا أدري لم، لكني شعرتُ بأنّ حساسيةَ أنفي تضاعفت منذ اللحظة التي وضعوني فيها داخل حفرةٍ باردة جدًا.. ضيّقة.

في ذاك اليوم سرعانَ ما رحلت الأقدام. عندها ارتفعت رائحةُ التربة المبلّلة لتؤنِسَ وحشتي وحدها. وبعضٌ من نورٍ ودفءٍ متقطّع يهبُّ وينقطع. يهبّ ليشعرَني ببعض الارتياح، ثم ينقطع برعب وكأنما ليلقّنَني درسًا. الحفرةُ أكثرُ ضيقًا من أن أدقّقَ فيما قد أكونُ اقترفتُه وأنا فوق بينهم كي أستحقّ كل هذا الظلام. أحاولُ جدًا دون جدوى.

لكن وقتًا طويلًا مضى الآن، تذكّرتُ كل الأشياء.. السلبية كانت خطًا متواصلًا أمام عيني.. الإيجابية كانت على شكلِ نقاطٍ

بيضاء تتوزّعُ فوق الخط الأسود. أقولُ إيجابية لأنها حين كانت تتدفّقُ، كان الارتياحُ يلازمُها. لكن النقاط سرعانَ ما بدأت تزدادُ وتضيقُ بينها المسافات حتى استحال الخطُّ أبيض. النورُ والدفءُ ازدادا جليًا.

يمرّ الوقتُ في هذا السكنِ الغريب، بدأتُ بعد حقبةٍ لا بأس بها أشعرُ بأنّ جسدي

خفيفٌ وله فروعٌ أتحسّسُها في التربة. ما عاد رفاتًا يابسًا. فروعٌ متباعدة حتى. أظنّ لونها كان في البداية أخضر. بدأتُ بعد أيامٍ من الرطوبةِ أنمو. شعورٌ بتصلّبِ أطرافي المدبّبة الجديدة وبرشدِها بشكلٍ عموديّ. كنتُ في بطنِ الأرض. كأنها تهضمُني بعد مأدبةِ الابتلاع تلك.

أعتقد أن تلك الأطراف بدأت تخترقُ التربة، رغم أني عاجزٌ عن تحريكِ نفسي. لكني أشعرُ بارتياحٍ كبير. حمدًا لله! لا بدّ أنّ ما يحصلُ لي هو من صنعِه وإبداعِه.. سبحانَه جلّ وعلا..

أيامٌ أو سنوات لا أدري.. بدأتُ أفقدُ إدراكي الواضح للزمكانِ هنا. مكاني تبدّل أو أني أنا الذي خرجت مني كل تلك الأطراف المدبّبة الخضراء. كأني ذبتُ إلى مادةٍ كي أخرجَ فقط!

الزمان الذي مرّ عليّ جعلَ أطرافي تلك تتحوّلُ إلى مادةٍ صلبةٍ بنية اللون. كنتُ أزدادُ طولًا فوق التربة.. لا أشتمُّ شيئًا هذه المرة.. لكني أستمتعُ كلما حلّق شيءٌ ما فوقي ليرميَ داخلَ أجزائي الغريبة حبوبًا لذيذة. أجزائي الغريبة كانت ملوّنة. تشبه القرنفل والمسك

ذاك. وكانت بعد ابتلاع البذورِ تزدادُ عددًا وحجمًا.. حتى امتلأتُ منها ثم من أحجامٍ ثقيلةِ الوزنِ تتدلّى من عنقي! كنتُ أشعرُ بالقوة.

بالصلابة. بالثبات. النور والدفءُ مستمران، ينقطع الدفءُ فتراتٍ ثم يعود. أما النور فينقطعُ عني يوميًا ليعودَ في نفسِ التوقيت! لكني كنتُ راضيًا. أعتقد أنّ رأسي كان أخضر.. لم يكن طولي كبيرًا جدًا.. حتى أنّ أشياء متحركة صغيرة كانت تدغدغُ رأسي باستمرار ولا تهجرني إلا بعد اقتلاع عددٍ من أجزائي الغريبة.

بعد حقبة، شعرتُ بأنّي داخلَ نفقٍ أحمر.. يضخُني مع الكثير من أمثالي. كنتُ رَخوًا، طيّعًا أطيحُ من ركنٍ إلى آخر. لا أدري ماذا حلّ بآثار جسدي أو هذا الكيان الخالي من الروح، الذي تتناقله الأحداث الغريبة. لا أدري كيف أذكر. أو كيف أسردُها لك أيها القارئ الوحيد مثلي في هذه اللحظة. لكني أذكر في البرهة هذه أني كنتُ صغيرةَ الحجمِ عاجزةً إذ لا أطرافَ لي... أشعرُ أني كنتُ حمراء. لا أدري لم أستخدمُ التأنيث، لكن هنا لم يعد لي جنسٌ معين! رغم أنّ روحي لا زالت تطفو.. يبدو أن الروح لا جنس لها!

أسبحُ في سائلٍ ما يشعرني بالتوتر لكثرة الحركة والطفرات فيه. لا أجوعُ هنا، لا أعطش، لا أتألم. لكني أعرفُ أنّ أمامي مهمةً ما، أعرف ذلك من الشوقِ المتململ في أنسجتي. بين الفينة والأخرى، نبضٌ صاعقٌ يجعلُني أرتطمُ بملايينِ الأجسام الحمراء مثلي. نخرجُ من دهليزٍ إلى دهليز. مرةً أوسع، ومرةً أشد ضيقًا. في الدهاليز الضيقة كنتُ وحيدةً جدًا. لم أسمع أيّ شيءٍ هنا، ولم أرَ أي شيء. لا أذن لا عين لا لمس لا شم لا حواس مطلقًا. لكن شعوري هذا بكياني!! ما هو! ما أعرفه هو أني أدركُ ما أكون نوعًا ما. طاقةٌ ما لا تزالُ على شكلِ «أنا» رغم انقسامِها منذ ذاك اليوم آلاف المرات.

فجأةً، توقّف النبض. تجمّدنا في دهاليزنا. تخثّرنا كثيرًا. لا أذكر المراحل ما بين بين. سوى أني في مكانٍ ما لم أعد حمراء. لم أعد طيّعة. لا دهاليز. كنتُ أسبحُ في كيانٍ هائل. كنتُ أمتلكُ الآنَ ذيلًا دقيقًا يتحرك بخفّة.

طوال ذاك الوقت، لم ينفصل شعوري ببقيّتي التي في التربة، ولا ببقيّتي التي سرَت في دهاليزَ أخرى في مكانٍ ما آخذٍ في الابتعاد عن كياني الحالي. كانت لي أجزاءٌ في أماكن مختلفة، تبعثُ لي بأحاسيس تشبه اللمس. تأكّدتُ من ذلك. كأني انصهرتُ منذ ذاك اليوم في كلّ شيء. كأنّ كلّ ما حولي أخذ يتنازعُني. ولا سكن يحتويني كلّي.

غلبَني التوتّر والنقلات النوعية. طال الكابوس. اشتدت رغبتي في الوصول. لا أدري إلى أين. لا أدري ماذا أنتظر. لكنه لم يكن موتًا. عرفتُ

أني لن أتلاشى.. أبدًا.. أيقنتُ فقط أني ضعيفٌ حتى أجلٍ غير مسمّى. كنتُ أذوي في كلّ حينٍ لأعودَ وأتشكّلَ في قالبٍ آخر، في صيغةٍ جديدة. والنورُ كان يروحُ ويجيء.

ربما كنتُ شمعةً. أحيانًا أقول.

إلتقيتُ على غفلةٍ بجسمٍ دائري كبير.. ونفذتُ إلى داخله، وبدا لي مهرجانًا صاخبًا في الداخل. ألوانٌ تطفرُ بكثرةٍ، شعرتُ باللون دون رؤيته. لا أفهم كيف. أشياء كثيرة لا أفهمها.. تكرّرت الحالة. مرةً شعرتُ بجزءٍ مني دائريّ الشكلِ تمامًا كذاك الجسم الدائري الذي التقيتُه في المهرجان. تهاجمُني ملايينُ الأجسام الدقيقة المجنونة في حركتها!

كنتُ مشتّتًا، لم أتلاشَ لكن الشتات أعياني.. حتى اللحظة، انقسمتُ آلاف بل ملايينَ المرات، وخضتُ معاركَ مجهريّةً حيويّة، وطفراتٍ غامضة الأسباب. كلما حاولتُ إدراك النهاية، المصير.. أرهقني التفكير. لم أكن أفكر، كنتُ أشعرُ فقط.

بعد هـذين المهرجـــانَين في مكانَينِ مختلفَينِ وأطـــرافٍ تمتدُّ بين تربةٍ وحمرةٍ وخضرةٍ، اختفَيت.. كأني نمتُ عميقًا.

عندليـــبٌ ملـــوّنٌ أيقَظَني شَدوُه ذاك اليوم.

يومَ التقت عيناهما، شعرتُ بي أتكوّن.. مرةً أخرى.. جزءانِ مني يتوقانِ للالتحام من جديد. رغبةٌ جامحة بالانصهار، وشعورٌ بأني أنجح بلمِّ أطرافي الذائبة.

يومَ أحبّته وأحبَّها.. كنتُ نصفَي دمعةٍ في عينِ كلٍّ منهما.

انتهى الشتات. وصلت. رضيت.

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً

روحي استقرّت.

مريم ميرزاده
كاتبة وفنانة تشكيلية ومترجمة – إيران

مقالة نقدية لقصة «زهرة بانسيه»

للكاتبة مريم ميرزاده(*)

سلوى صعب

تُعد القصة القصيرة إحدى فنون القَص الرائجة في العصر الحالي، إلى جانب الرواية، وتزخر المكتبة العربية بالآلاف من المجموعات القصصية التي تُقدم تحت عنوان «القصة القصيرة». ولكن هل كل ما تخطه أنامل كتّابها يصح أن يصنف كقصة قصيرة من الناحية الفنية والتقنية؟

هذا المقال سيحاول الإجابة ضمنًا على هذا السؤال، في معرض قراءةٍ نقديةٍ لقصة «زهرة بانسيه» للكاتبة مريم ميرزاده.

اختلف النقاد والأدباء في تعريف القصة القصيرة: فمنهم من عرّفها استنادًا إلى زمن قراءتها القصير نسبيًا، فهي قصة تُقرأ في جلسة واحدة، ومنهم من عرّفها حسب عدد صفحاتها، وبأنها لا تزيد عن ثلاث إلى أربع صفحات، ومنهم من تجاوز هذا التعريف حاسبًا أن القصة القصيرة لا تهتم بالتفاصيل كالرواية، ولكنها تهتم بحدثٍ معيّنٍ في زمنٍ محدّدٍ ومكانٍ أو مجموعةٍ من الأمكنة المحدودة.

القصة القصيرة فنٌّ قائمٌ بحدّ ذاته، فهي استعارت من الرواية سرديتها وبناء الزمان والمكان فيها وتَشكّل شخصياتها، إلا أنها تميّزت عنها بتقنية تقيّدها بحدث وحيد، كما تقيّد زمانها بالقِصَر، وأمكنتها وشخصياتها بالقِلّة.

تعد القصة القصيرة فنًّا أدبيًا حديثًا ظهر بداية القرن الثامن عشر، وهو فنٌّ يختص بتقنيةٍ صارمةٍ بعض الشيء، فهي لا تجيب فقط عن الأسئلة الثلاثة المعروفة عند تناول حدث ما: كيف ومتى وأين؟ بل يجب أن تجيب عن سؤال رابع مهم وهو لِمَ وقع؟[1].

وفي تعريفٍ جيّدٍ للقصة القصيرة لفرانك أوكونور الناقد وكاتب القصة الإيرلندي: «ليست القصة القصيرة قصيرةً لأنها صغيرة الحجم، وإنما هي كذلك لأنها عولجت علاجًا خاصًا، وهو أنها تناولت موضوعها على أساسٍ رأسي لا أفقي، وفجّرت طاقات الموقف الواحد، بالتركيز على نقاط التحوّل فيه... والذي يفجّر نقاط التحوّل في الموقف يتاح له الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل في لحظة واحدة، ماثلة للعيان». ويضيف أوكونور بأن «أسلوب القصة القصيرة يولع بالحاضر ويرتفع عنه في الوقت ذاته، وذلك على نحوٍ يجعله يرى الماضي والحاضر متزامنين وواضحين بالقدر ذاته»[2].

وفي مقارنة القصة القصيرة مع الرواية يمكن القول إن الرواية تعتمد

(*) -زهرة بانسيه قصة نشرت في العدد الأول من مجلة مع الشباب.

1- رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، دار العودة، بيروت، ط 3، 1984، ص 29.

2- فرانك أوكونور، الصوت المنفرد، ترجمة محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة، طبعة خاصة، القاهرة، 2009، ص 8.

في تحقيق المعنى على التجميع، أما القصة القصيرة فتعتمد على التركيز، ويمكن أن نشبّه الرواية بالنهر من المنبع إلى المصب، أما القصة القصيرة فهي دوّامةٌ واحدةٌ على سطح النهر، فهي تكتفي بقطعٍ من حياة الشخصية، بلمحةٍ منها، بموقفٍ معينٍ أو لحظةٍ معينة، تعني شيئًا معيّنًا، فتسلّط الضوء عليها بحيث تنتهي بها نهايةً تنير لنا معنى هذه اللحظة، ولهذا أطلق بعض النقاد عبارة «لحظة التنوير» على النهاية في القصة القصيرة، تلك اللحظة التي تخلق حالًا من الدهشة عند المتلقي، وبهذا المعنى أطلق على نهاية قصص تشيخوف مثلًا النهاية القنبلة، والنهاية الملتوية عند موباسان، أو النهاية المفتوحة عند كثيرٍ من كتّاب القصة القصيرة في الوقت الراهن.

تقص علينا «زهرة بانسيه» لمريم ميرزاده قصة حدثٍ حصل ذات يوم في حياة «ميريلا»، الشخصية الرئيسة في القصة، صبية تعيش في مدينة «أصفهان» الإيرانية، انتقلت إليها مكرهةً مع العائلة منذ عامين. ورغم اتصاف أصفهان بنصف العالم لجمالها، إلا أن ميريلا تفضل عليها العاصمة «طهران»، لأنها مرتع الطفولة وتفتّح أزهار الصبا و... الحب الأول. ميريلا تحيك السجاد الصوفي، تهاب الأماكن المغلقة، وتهوى الرسم، مواصفات كافية لتشكّل في ذهن القارئ صورةً تضج بالحياة.

زمن القص في القصة القصيرة قصير؛ لأنها قصة الموقف الواحد، أو الحدث الواحد، الحدث في قصة «زهرة بانسيه» هو الأزمة القلبية التي ألمّت بالشابة ميريلا، وأدخلتها في غيبوبة، صحيح أن الغيبوبة طالت لسنةٍ ونصفٍ كما اكتشفنا في نهاية القصة، إلا أن الموقف الذي عبّرت عنه القصة حدث في يوم واحد وفي مكان واحد في غرفة ميريلا المطلة على الهضبة الخضراء. ولكن زمن السرد اتسع ليعود بنا إلى الماضي البعيد، إلى الطفلة ميريلا التي كانت تملأ جدران المنزل بالرسومات، ثم إلى الماضي القريب، إلى ما حدث في طهران، إلى لقاء الصدفة بداوود عند البحيرة الصناعية، حين أهداها كتاب الشعر. هذا العَود إلى الماضي أو ما يسمّى بتقنيّة الاسترجاع في القصة ضرورة ملزِمة للكاتب أحيانًا وخصوصًا مع القصة القصيرة. وذلك للإضاءة على جوانب من حياة الشخصية، تساهم في فهم الحدث أو في تكثيفه للوصول إلى «نقطة التنوير» التي تشكل خاتمة القصة.

اعتمدت الكاتبة تقنية «الحذف الزمني» قبل أن تنهي قصتها، وهي تقنية يُغَيِّب الكاتب فيها فترةً زمنيةً من حياة الشخصية، لا تكون مؤثرةً في سير أحداثها: ميريلا راقدة في غيبوبة منذ سنةٍ ونصف، ميريلا تعود إلى الحياة تدريجيًا، يتحرّك الجفن، تتعرّق الجبهة، وميريلا تبتسم.

وتبقى الإشارة إلى زهرة بانسيه أو زهرة الثالوث حسب الترجمة العربية، التي استعارتها الكاتبة اسما لقصتها، هذه الزهرة التي حضرت في مختلف مفاصل القصة، لم تختارها الكاتبة عبثًا، فاسمها الإنجليزي pansyمأخوذ من الكلمة الفرنسية pensée وهي تعني «التفكير"، وهي تتميز بقوة التحمل لمختلف ظروف الطبيعة القاسية، وبعض معانيها تفيد بالتذكر. لقد شكّلت زهرة بانسيه الحافز الذي أعاد ميريلا إلى الحياة، لا سيما أنها كانت هديّة الحبيب.

«زهرة بانسيه» قصة قصيرة، استفادت كاتبتها مريم ميرزاده من تقنيّات هذا النوع القصصي لتقديم قصتها، فالحدث واحد تمثّل بإصابة ميريلا بأزمة قلبية، مهّدت الكاتبة لهذا الحدث عبر سرد مكثّف، اتّسم ببعض الإطالة التي تتجافى عادةً مع هذا النوع القصصي، إلا أنها لم تُنقص من القيمة الأدبيّة للقصة. اعتمدت محدوديّة المكان والزمان والشخصيّات التي تمحورت حول شخصيّةٍ رئيسةٍ هي صاحبة القرار، الذي نقل القصة إلى «لحظة التنوير»، حين اتخذت ميريلا قرارها بالعودة إلى الحياة لتُنهي قصةً اتّسمت برومانسيّة ناعمة، وصور جميلة وذكريات حالمة.

سلوى صعب
كاتبة وباحثة في القصّة

Email: Among.shabab@gmail.com
Whatsapp: 09613835051
telegram: t.me/maashabab
website: maaalshabab.iicss.iq
facebook: @maaalshabab
twitter: @maaalshabab
instagram: maaalshabab

أن تكون ميدانًا لكم، لنشر إبداعاتِكم ومساهماتِكم الفكريّة والأدبيّة والفنيّة...

أن تكون منبرًا للتعبير عن آرائكم وتوجّهاتكم...

«مع الشباب» تفتح صفحاتها الورقيّة والإلكترونية لـ:

- **الانتساب إلى أسرة المجلة:**

ـ هل ترغب في أن تكون أحد أعضاء أسرة المجلة؟

يسرّنا أن نستقبل مشاركاتكم في كافة الأبواب المخصّصة في المجلة: (مقالات الرأي - مقالات نقدية - قصة قصيرة، قصيدة...).

- **نشر الإنجازات والانتاجات الفكرية والفنيّة:**

ـ هل تبحث عن فرصة تنشر فيها إنجازاتك وإنتاجاتك؟

يسعدنا أن نسلّط الضوء على إنجازاتكم (كتاب - فن تشكيلي - أفلام قصيرة - كاريكاتور). ما عليكم إلا إرسالها لنا.

- **قرأت العدد الماضي من «مع الشباب»:**

ـ هل لديك وجهة نظر في مقالات المجلة أو نقد لأحد الموضوعات فيها؟

في هذا الباب تطلق المجلّة لقرائها كامل الحريّة في إبداء آرائهم حول مقالات المجلة ومواضيعها، ضمن مقال نقدي موضوعي يعكس رؤية كاتبه.

- **الأسئلة والاستفسارات:**

ـ هل لديك سؤال تبحث عن إجابة عنه أو مشكلة تريد حلّاً لها؟

يمكنكم إرسال أي سؤال أو إشكال أو مشكلة تخطر ببالكم (عقائدية، اجتماعية، نفسية، تربوية...). سيعمد فريق من المتخصصين للإجابة عن أسئلتكم، واقتراح المعالجات المناسبة لمشكلاتكم.

- **تغطية الأنشطة الشبابيّة:**

ـ هل لديك نشاط شبابي تودّ الإعلان عنه؟

يشرّفنا أن تكون مراسلًا لتغطية هذا النشاط، ونشره عبر موقعنا الإلكتروني.

رسالة مجلّتنا

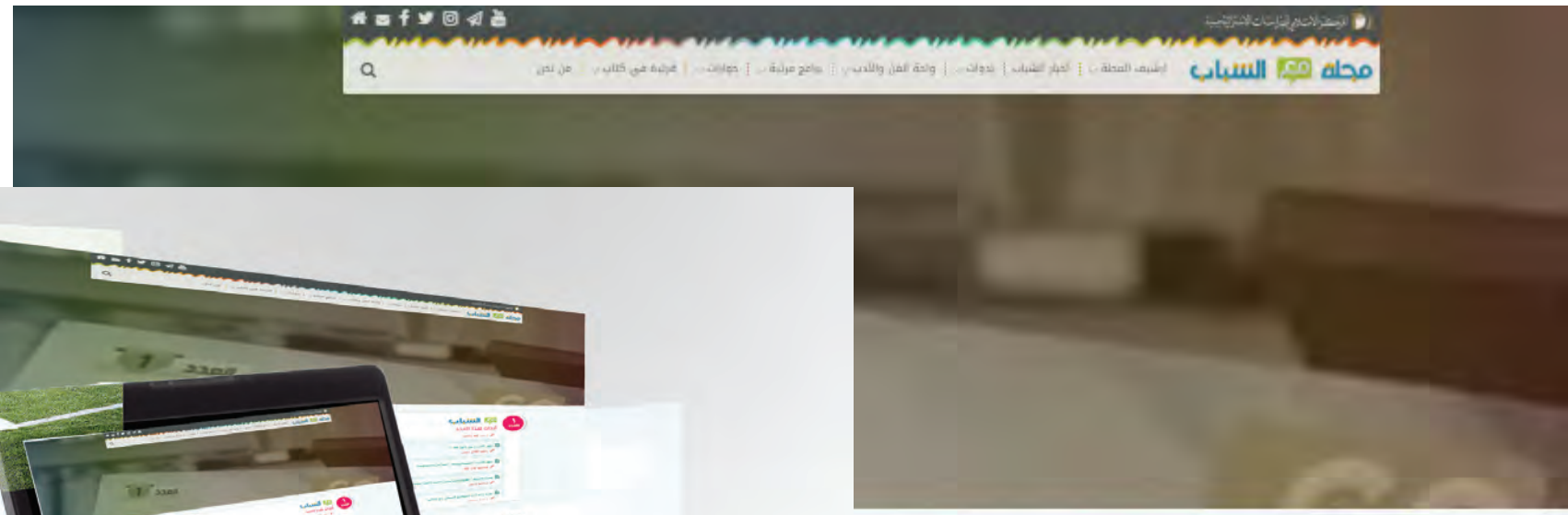

زوروا موقعنا على الإنترنت

maaalshabab.iicss.iq

فيلم بروميثيوس:

"البحث عن مبدئنا قد يؤدي إلى نهايتنا"

حيدر الكعبي

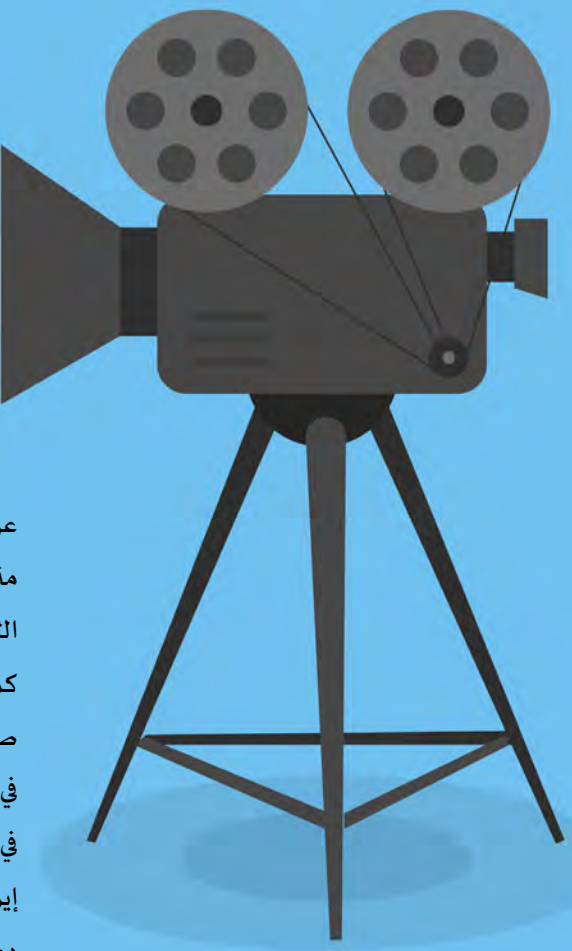

فيلم Prometheus

هو الفيلم الحادي والعشرون للمخرج البريطاني الشهير ريدلي سكوت Ridley Scott الذي قدّم سلسلة لها بصمة خاصّة من أفلام هوليوود منذ العام 1979، وقد توّج أعماله بهذا الفيلم في العام 2012.

ترتكز قوّة فيلم «بروميثيوس» على العناصر الفنيّة، كالمؤثرات البصرية فضلًا عن براعة في تصميم الديكورات بشكلٍ مذهل. وكذلك التصوير بتقنيّة الأبعاد الثلاثيّة التي تتميّز بالعمق ودقّة التفاصيل. كما يتميّز الفيلم بقوّة أداء ممثليه. وبذلك صعد فيلم «بروميثيوس" إلى المركز الثاني في قائمة الأفلام التي تحقّق أعلى الإيرادات في دور السينما الأميركية. وقد فاقت إيراداته العالمية الإجمالية 300 ميلون دولار، مع أنّ تكاليف إنتاجه بلغت 130 مليون دولار فقط.

يجمع فيلم "بروميثيوس" بين الخيال العلمي والمغامرات. تتمحور أحداثُه حول بعثةٍ علميّة على متن مركبة فضائيّة، يستقلّها فريقٌ من العلماء إلى أعماق الفضاء الخارجيّ، بحثًا عن الخالق، وعن أصل وجود البشر. وبالتحديد للإجابة عن الأسئلة الثلاثة التي صرّح بها مموّل البعثة العلمية (بيتر ويلاند) إذ يقول:

من أين جئنا؟

ما هو هدف وجودنا؟

ماذا يحدث بعد مماتنا؟[1]

المشهدُ الأوّل يعود بالمشاهد إلى ما قبل وجود الحياة على الأرض. ويظهر فيه أحد «المهندسين» وهو ينزلُ إلى الأرض ويقف على حافّةِ نهرٍ كبير. فيتناولُ شيئًا يحوّل جسدَه إلى ذرّات تمتزجُ بالماء. وتلك الذرات ستتطوّر لتكوّن الكائنات الحيّة فيما بعد. في مشهد يجسّد أول ظهور للحياة على الأرض.

1- هذه المقولات تناظر تمامًا المقولات الواردة في التراث الإسلامي، وبالتحديد مقولة: «رحم الله امرأ عرف من أين وفي أين وإلى أين».

ثمّ تبدأ قصّة هذا الفيلم في المستقبل عام 2089، حين يكتشف عالما الآثار (إليزابيت شو) و(تشارلي هولواي) رسومًا جداريّة قديمة داخل كهفٍ من العصور الغابرة، تشتملُ على خريطةٍ للنجوم. ويستنتجان منها ومن مجموعةٍ أخرى من آثار الحضارات القديمة (الفرعونية والبابلية والسومرية وحضارة المايا)، أنّ للبشر خالقين يُدعَون باسم «المهندسين» يقطنون في أحد الكواكب التي تقع في أعماق الكون السحيق، وكان هذا الاكتشاف بمثابة فرصة ذهبيّة لمعرفة أصل خلق البشر[1].

إلى ذلك يتكفّل (بيتر ويلاند) مدير شركة «ويلاند» ببناء مركبة فضائيّة استكشافية اسمها «بروميثيوس»[2]، لتتبع ما ورد في خريطة النجوم الأثريّة للعثور على خالق البشر، ومعرفة أسباب خلقه لهم ومصيرهم بعد الموت.

وعلى الرغم من أنّ الفيلم يحشد العديد من الأفكار المتعلّقة بالأديان ابتداءً من الميثولوجيا اليونانية وتعدّد الآلهة، مرورًا بنظريّة داروين للتطور، إلا أنّ الفكرة

الأساسيّة التي تمّ التركيز عليها تتعلّق بفلسفة الإلحاد الأيديولوجي الذي لا يجد فائدةً من الإيمان بالربّ. بل على العكس من ذلك، إذ من الممكن أن تكون نتائج البحث عنه والإيمان به سلبيّة جدًا، وهي الفكرة التي تعبّر عنها تمامًا الجملة الأساسيّة التي تصدّرت البوست الدعائي للفيلم إذ تقول: «البحث عن مبدئنا قد يؤدي إلى نهايتنا».

فبعد سلسلة من الأحداث والتطورات المثيرة والغريبة، يلتقي فريق العلماء أخيرًا بـ «المهندسين»، ويتبيّن بأنّ لقاءهم هذا لم يثمر إلا عن خيبةِ أملٍ شديدة، فهؤلاء المهندسون الذين يُفترض أنّهم كانوا سببًا مباشرًا لخلق البشر على الأرض، لم يعلنوا عن أيّ سببٍ واضحٍ للهدف من خلق الإنسان. بل إنهم أظهروا عداوةً بدائيّةً تجاه البشر، تدفعهم إلى محاولةِ إبادتِهم من دون نقاش.

> يجمع فيلم **"بروميثيوس"** بين الخيال العلمي والمغامرات. تتمحور أحداثه حول بعثةٍ علميّة على متن مركبة فضائيّة، يستقلّها فريق من العلماء إلى أعماق الفضاء الخارجيّ، بحثًا عن الخالق.

بذلك يرسّخ الفيلم فكرة أنّ الخالق نفسَه لم تكن له غاية عُقَلائيّة من خلقِه للبشر، وإنّما خَلَقَهم لمجرّد قدرتِه على ذلك. وذلك بالفعل ما يعكسُه الحوارُ الذي يدور بين

1- وضع الكاتب السويسري «إريك دانكن» صاحب كتابي «عربات الآلهة» و«العودة إلى النجوم»، فرضيّة مفادها أن كائنات كونيّة قد زارت الأرض في أزمنة عابرة، وأثرت على الثقافة الأوليّة للجنس البشري. ودليله على ذلك أنّ بناء هياكل ضخمة مثل الأهرامات وتماثيل جزيرة القيامة هي من الضخامة بشكل لا يمكن لشعوب تلك الأزمنة القيام بها، وكذلك العديد من الأعمال الفنية القديمة التي تصوّر الفضائيين وتقنيات معقدة لم تملكها البشرية في ذلك الزمان. ويرى دانكن أن تلك المرئيات أثرت في المحكيات الدينية وأسهمت في وضع الأسس والشعائر، وخاصة في التوراة.

2- اسم مأخوذ من الأساطير اليونانيّة القديمة. وهو اسم الربّ المطرود من جبل الأولمب الذي تسكنه آلهة اليونان. ويعني اسمه «بعيد النظر» وهو قادر على التنبؤ بالمستقبل.

رجل آليٌّ متطوّر الذكاء الاصطناعيّ، وبين الدكتور (هولواي)، وهو أحد العلماء الذين سافروا في الرحلة الاستكشافية، والآتي نص الحوار:

هولواي: هل تعتقد بأنّ قدومنا إلى هنا كان مضيعةً للوقت؟

الرجل الآلي: سؤالُك يعتمدُ على فهم ما تأمَلون إحرازَه من المجيء إلى هنا.

هولواي: ما كنّا نأمل إحرازه هو مقابلة خالقينا، وأنّ نحصل على جوابٍ لسؤال: لماذا خلقونا أصلًا.

الرجل الآلي: لماذا تظنُّ بأنّ قومَك صنعوني؟

هولواي: صنعناك لأنّنا استطعنا ذلك.

الرجل الآلي: هل بوسعِك أن تتخيّلَ مدى خيبتِك عندما تسمعُ نفس الجواب من خالقِك؟

هولواي: أعتقدُ أنّه من حسنِ ظنِّك بأنّك لا تعرف خيبةَ الأمل، صحيح؟

الرجل الآلي: نعم إنّه أمرٌ رائع في الواقع.

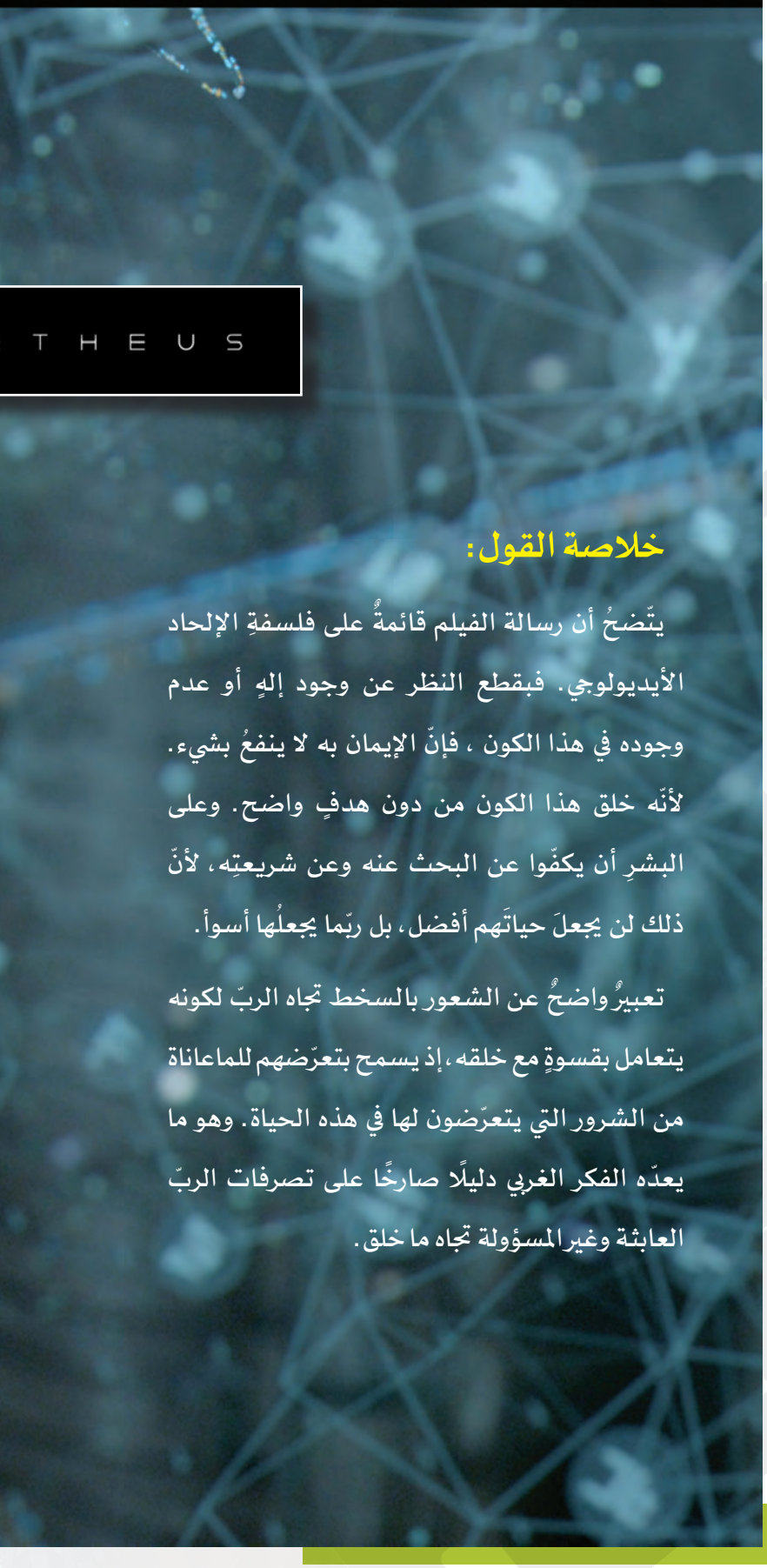

خلاصة القول:

يتّضحُ أن رسالة الفيلم قائمةٌ على فلسفةِ الإلحاد الأيديولوجي. فبقطع النظر عن وجود إلهٍ أو عدم وجوده في هذا الكون ، فإنّ الإيمان به لا ينفعُ بشيء. لأنّه خلق هذا الكون من دون هدفٍ واضح. وعلى البشرِ أن يكفّوا عن البحث عنه وعن شريعتِه، لأنّ ذلك لن يجعلَ حياتَهم أفضل، بل ربّما يجعلُها أسوأ.

تعبيرٌ واضحٌ عن الشعور بالسخط تجاه الربّ لكونه يتعامل بقسوةٍ مع خلقه، إذ يسمح بتعرّضهم للمعاناة من الشرور التي يتعرّضون لها في هذه الحياة. وهو ما يعدّه الفكر الغربي دليلًا صارخًا على تصرفات الربّ العابثة وغير المسؤولة تجاه ما خلق.

على الرغم من أنّ الفيلم يحشد العديد من الأفكار المتعلّقة بالأديان ابتداءً من الميثولوجيا اليونانية وتعدّد الآلهة، مرورًا بنظريّة داروين للتطور، إلا أنّ **الفكرة الأساسيّة** التي تمّ التركيز عليها تتعلّق بفلسفة الإلحاد الأيديولوجي الذي لا يجد فائدةً من الإيمان بالربّ.

حيدر محمد الكعبي
باحث إعلامي ـ العراق

محطات العمر

فضل سرور

العمرُ بحرٌ وكلُّ الخلقِ سبّاحُ
والرّافدانِ له عذْبٌ وأملاحُ

أمواجُه في عُتُوِّ النَّوِّ ماخرةٌ
فيها من العيشِ أفراحٌ وأتراحُ

منّا بشاطئه تأتي منيّتُه
طفلاً بريئًا قضى والأهلُ أنواحُ

منّا بلُجّتِه في ميْعةٍ لعبتْ
أزهارُ زهوتِه والوجه وضّاحُ

تأتيه عاجلةً راشتْه أسهمُها
يُمسي وليس له بالعيشِ إصباحُ

منّا بأرذلِه تأتي على مَكُثٍ
من بعد سقْمٍ أليمٍ منه يرتاحُ

العمرُ يبدو محطّاتٍ موزّعةً
ففي الثلاثين سيفُ البأس جرّاحُ

والأربعونَ وقوفٌ فوقَ قِمّتِه
قلبٌ كميٌّ ونور العقل مصباحُ

خمسونَ ستّونَ لا أعذار تنفعنا
من حيثُ نُسألُ هل فيهنّ إصلاحُ

فإنْ وصلتَ إلى السّبعينَ دونَ أسىً
أتممْتَهُ ومزيد العمر أرباحُ

لِنُسْرِ هذا المدى فالعمرُ راهنُهُ
عِشْهُ كريمًا ففيهِ أنتَ سوّاحُ

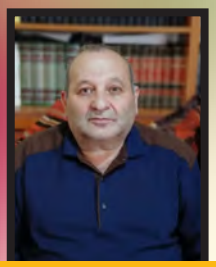

فضل سرور
شاعر

دولةُ الرَّفاه

Welfare State

هادي قبيسي

عبارةٌ قليلة التداول نتيجة فقدان مصداقها في عالمنا العربي، إذ تشير إلى رؤيا حالمة وباذخة تتخطى تاريخنا. هي دولةٌ يعيش سكانُها حالة اكتفاء ورفاه بعيدًا عن النقص والحاجة، بالإضافة إلى ما يستفيد منه المهاجر المغترب من الرعاية الاجتماعية في حال كان من خارج البوتقة القومية للدولة المضيفة.

قليلٌ من البحث يحدوه الالتفات إلى مُخرجات دولة الرفاه وتحديدًا في سياساتها تجاه «العالم الثالث»، يدفعنا إلى كسر القشرة الشكلية والعوْد هنيهةً في التاريخ.

فلماذا كانت دولة الرفاه؟

يعود تأريخ المصطلح إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. تقول المتخصصة في دراسات الرعاية الاجتماعية إيلين ماكلويد: «ظهرت دولة الرفاه كمجموعةٍ من السياسات والمؤسسات التي كانت، بالأساس، رد فعلٍ على «مشكلة العمل»، أي مواجهة تهديد الصراع الطبقي. الهدف الأساسي كان احتواء ودمج الحركة العمالية»[1]، وبحسب الألماني ستيفن ماو المتخصص في الماكروسوسيولوجيا[2]، يرى أنّ «دولة الرفاه يمكن النظر إليها كترتيبٍ مؤسساتيٍ رئيسيٍ في المجتمعات الغربية. إذ يساهم في إعادة توزيعٍ مقبولٍ اجتماعيًا[3] للثروة». ويضيف: «هي أداة تستخدمها السلطة السياسية لإعادة التوازن المختل نتيجة اللامساواة غير المقبولة المتأتية من حركة السوق، ولذلك فإن نسبةً معتبرةً من الناتج العام ينبغي أن يعاد تدويرها اجتماعيًا»[4]. وعليه، فإنه من المنظار الجزئي، تكون المشكلة اقتصاديةً بأساسها، وتُصبِح الرعاية الاجتماعية نتيجةً.

وفي هذا السياق، يصبح الفائض الماليّ مهددًا، ولذلك ينبغي تدويرُ جزءٍ منه لكي تستمرّ عمليةُ مراكمةِ رأس المال، وذلك في دائرة النظام نفسِه الذي أنتج مشكلات الفقر والتفكك العائلي. فهل يُسهم نظام الرعاية الاجتماعية في استمرار إنتاج المشكلة، أو يشكّل مدخل الحل؟

الواقع أنّ الناتج الكليّ للنظام العام هو المزيد من الفوارق الطبقيّة والمزيد من التفكّك الاجتماعي. وبالنتيجة فإن الرعاية الاجتماعية تساهم في استمرار إنتاج المشكلة وليس حلّها، من خلال منع انفجارها وتنفيس غضب الفقراء. وبحسب تقرير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، فإن الفوارق الطبقية تزداد ارتفاعًا بشكل دائم في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة وقد تزايدت بشكل كبير خلال السنوات الثلاثين الماضية[5].

على الرغم من ذلك، تشيرُ الباحثة ماكلويد إلى التحول الذي طرأ على محور المشكلات في البلدان الغربية، حيث تراجعت أهميّة الطبقيّة لصالح إشكاليّة التفكّك. منذ نهاية الحرب الباردة كان

1- Eileen Mcleod, Social Work, Health and Equality, Routledge, 1999, p. 9.

2- يراد فيها عادةً الدراسات المعنية بالكل الاجتماعي، كما هو الحال في دراسة مراحل التطور الاجتماعي، والصراعات الاجتماعية وبنية السلطة وغيرها.

3- لنلتفت هنا إلى العبارة بدقة، فهي تتحدث عن المقبولية الاجتماعية وليس العدالة كمعيار.

4- Steffen Mau, The Moral Economy of Welfare States: Britain and Germany Compared, Routledge, 2004, p. 1.

5- Brian keeley, Income Inequality: The Gap between Rich and Poor, OECD, 2015, p. 11.

الصراع الطبقيّ قد كفّ عن كونه سبب القلق الأساسي للمجتمعات الرأسمالية، حيث كانت مُخرجات النظام الرأسمالي المسبّبة للتفكّك الاجتماعيّ قد حلّت مكانه كمصدرٍ أساسيّ للقلق. تزايد المخاوف والقلق حول اللاإستقرار الاجتماعي، بما في ذلك البطالة والتشرد والانحراف، والإدمان

> ظهرت **دولة الرفاه** كمجموعة من السياسات والمؤسسات التي كانت بالأساس ردّ فعل على مشكلة العمل أي مواجهة تهديد الصراع الطبقي.

على المخدرات والجريمة والطلاق، والأم العزباء واستغلال الأطفال[1]. ويرى البعض أن مشكلة اللامساواة والتفاوت الطبقي هما نتيجة حتمية للنظام الرأسمالي ولا يمكن بأيّ شكل تلافيها[2]، كما يعتبر جيري مولر في مجلة «شؤون خارجية».

وعلى خطٍّ موازٍ، يُنتج النظام الرأسماليّ سلسلةً من المشكلات الاجتماعية مثل: تدمير الروح، تفكيك العائلة، تخريب الأخلاق العامة، الفردانية، انتشار الاستهلاك المادي[3]. إلا أنّه يتمُّ تصويرُه من قِبل وسائل الثقافة والمعرفة على أنّه جنّة. فيُعطى وسمًا[4] مختلفًا عن واقعه، لأنه يحاول حلّ المشكلات التي يتسبّب بها من خلال نظام الرعايةِ الاجتماعية، الذي يشكّل روحَ دولةِ الرفاه. إنّه في الحقيقة يحاولُ توظيف هذه المشكلات لصالِحه بحسب البعض، ليقدّم نفسَه بذلك على أنّه جوهرةُ التاريخ ونهايتُه.

دولة الرفاه بين اليسار واليمين

ثمّة رأيان متطرّفان، الأول يساريّ يعتبر أنّ المؤسسات الرأسماليّة تُدخل العمال بشكلٍ دوريٍّ في حالة طوارئ حياتيّة شاملة، كما يرى الباحث الألماني اليساري فريرك

> وبالنتيجة فإن الرعاية الاجتماعية تساهم في استمرار المشكلة وليس حلّها من خلال منع انفجارها وتنفيس **غضب الفقراء**.

هويسكن[5]. والثاني يميني ينعكس في التساؤل الذي طرَحَه أستاذ جامعة هارفرد ريكاردو هوسمان، حول ما إذا كان ضعف القدرة على لجم الرأسمالية هو الذي يتسبب بالأضرار التي تصيب المجتمع بشرائحه المختلفة، أم أنّ السبب هو الحدود الموضوعة للرأسمالية والتي تمنع من توسّعها وانتشارِها[6].

الواقع أنّ قدرة التبرير لدى الثقافة الرأسماليّة مثيرةٌ للإعجاب. فثمّة من يبرّر بأن نظام الرعاية الإجتماعيّة يستهلّ منتجاتٍ صحيّةً ورعائيّةً مختلفةً من إنتاج اليد العاملة المحليّة. على الرغم من وضوح عودة الأرباح الهائلة لأصحاب الرساميل. فكيف يفوت أستاذ هارفرد هنا أن الرأسماليّة شكّلت ولا تزال أكبر إمبراطوريّةٍ في التاريخ البشريّ في الانتشار والسيطرة والنفوذ؟

وبالعودة إلى الرأي اليساريّ، يمعن هويسكن في إساءة الظن بالرأسماليّة، وهذا طبيعي، فمن ينظر إلى الناتج الكليّ للنظام وتأثيره على الفقراء داخل وخارج الحدود، يحق له ذلك: «فالتعويضات التي توزّع خلال الحالة الطارئة محسوبةٌ بحيث تدفع متلقّيها إلى البحث عن عملٍ مدفوع الأجر مجدّدًا، ضمن العلاقة التي ستؤدي به لاحقًا إلى البطالة»، ويضيف الباحث اليساريّ: «إنّ المساعدات التي تقدَّم للعاطلين عن العمل تهدف حصرًا إلى الإبقاء عليهم قابلين للعمل مجددًا، وبذلك فإن مؤسسات الرعاية الاجتماعية تنظر إلى مصلحة المواطن المفضل، وهو مـــالك

1- Social Work, Health and Equality, op. cit., p. 9.
2- Jerry Z. Muller, "Capitalism and Equality: What the Right and the Left Get Wrong", Foreign Affairs, March/April 2013 Issue.
3- See: Tim Kasser, The High Price of Materialism, MIT press, 2002; And: James Park, Inward Suffering: The Dark Night of the Soul, University of Minnesota, http://www.tc.umn.edu/~parkx032/INW.html.
4- Labeling.
5- Freerk Huisken, The Welfare State: Nothing but the management of capitalistic poverty, Ruthless Criticism, 2003.
6- Ricardo Hausmann, "Does capitalism cause poverty?", World Economic Forum, 21 Aug 2015.

رأس المال»[1]. ثمّ يذهب بعيدًا في المخيّلة التحليليّة التشاؤميّة ليعتمد «نظريّة المؤامرة» فيقول: «خلال استقبال العاطلين عن العمل، فإنهم يخدمون مالكي رؤوس الأموال كذلك، من خلال زيادة عرض العمل، فتتدنى الأجور وتتراجع نسبة ما يدفعه الرأسمالي مقابل العمل»[2].

بعيدًا عن النقاش الرأسماليّ الداخليّ، تنظر الأنظمة في الشرق الأوسط إلى الرأسماليّة على أنّها نموذجٌ للمثاليّة النهائيّة. على الرغم من أنّه يشترط على الدول النامية التي تستدين منه وقف مشاريع الرعاية الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، وإن هو استطاع توفير الفائض المالي لتمويل الرعاية الاجتماعيّة، فذلك من خلال فوائد تلك الديون أولًا، ومن السيطرة على الأسواق المحليّة العالمثالثيّة ثانيًا، والتي تُفتح قسرًا أمام منتجاتِه كشرط لدفع القروض «التنمويّة». وكذلك من خلال تراكم البنى التحتيّة والمجالات الاستثماريّة التي بُنيت على أكتاف الشعوب المستعمرة قديمًا والمسلوبة حديثًا.

وفي النتيجة، تخدم الرعاية الاجتماعية في الدول الاستعمارية استمرارية الطبقة الرأسماليّة، واللامساواة الداخليّة. كما تخدِم من جهةٍ أخرى دوام الآثار الاستعمارية للرأسماليّة التوسعيّة التي لا تعرف حدودًا. أما الدول المنهوبة، فيحقّ لها فقط أن تحلُم بالرفاه دون أن تتذوّقَه يومًا. ويُهاجر شبابُها نحو العالم الغربيّ لتقدّم لهم نُظم الرعاية الاجتماعية بقايا فتات الأموال، التي تراكمت بفعل الاستعمار بأشكالِه المختلفة. فينعمون بها ويشعرون بالتقدير الفائق تجاه «الأخلاقية» الرأسمالية.

> **التعويضات** التي تُوزّع من خلال الحالة الطارئة محسوبة بحيث تدفع متلقّيها إلى البحث عن عمل مدفوع الأجر مجدّدًا ضمن العلاقة التي ستؤدي به لاحقًا إلى البطالة.

1- The Welfare State: Nothing but the management of capitalistic poverty, op. cit..
2- Ibid.

هادي قبيسي
كاتب وباحث في الفكر والعلوم الاجتماعية

تكنولوجيا
الواقع المُعزّز
Augmented Reality

علي زين

الواقع المعزز هي تقنية تعتمد أولًا على الواقع الفعلي، ثم تقوم بالإضافة عليه عبر وضع طبقات من الصور الثابتة أو المتحرّكة المصمّمة رقميًا. وقد استعمِلت التقنيّة بوضوح في اللعبة الأكثر تحميلًا في التاريخ "Pokemon Go"، والتي تعتمد على البحث عن كائنات مصمّمة رقميًا داخل الواقع الفعلي، عبر استخدام كاميرا الهاتف الذكي وشاشته.

أمثلة أخرى على استخدام الواقع المعزز هو تطبيق «سناب شاتSnapchat»، فالتطبيق الشهير يقوم بإضافة بعض التأثيرات الرقميّة على أوجه المستخدمين عبر استخدام الكاميرا الأمامية للهواتف الذكية، ثمّ إتاحة مشاركتِها عبر التطبيق إلى الأصدقاء، أو عبر أيٍ من وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى.

يعمل الواقع المعزّز من خلال إضافة طبقات غير واقعيّة إلى الواقع الفعلي. وذلك عبر أدوات قادرة على إحداث هذه الإضافة وهذا المزج، وعلى رأسها الهاتف الذكي.

إذ يتمّ التقاط الواقع عبر كاميرات الهاتف، ومن خلال المعالج الرئيسي ومعالج الرسوميات، يتم معالجة المجسّمات الرقميّة المصممّة عبر تطبيقات خاصة، ليتم عرض هذا المزيج في النهاية عبر شاشة الهاتف. ومع اختلاف أدوات الواقع المعزز، سواء كانت هاتفًا ذكيًا، أو خوذةً، أو نظارةً خاصةً، لا يختلف المبدأ الذي تعتمد عليه التقنية.

تكمن الاستفادة الأكبر من مثل هذه التجارب في أنّها قد أدّت في النهاية إلى تطوير نظارات "الواقع المختلط"، وهي نظارات تقوم بالدمج بين الواقع الافتراضي virtual reality والمعزز، بمعنى أنّها تقوم بتصوير الواقع الفعلي من خلال كاميرا، ثم إضافة المجسمات والنماذج عبر النظارة داخل بيئة عازلة شبيهة بما توفره تقنية الواقع الافتراضي.

أمّا عن تطبيقات الواقع المعزز، فكلا المتجرين الأساسيين لنظامَي تشغيل

أندرويد و iOSيحفلان بعددٍ كبيرٍ من التطبيقات المتوافقة مع التقنيّة، وبمجرد كتابة حرفي AR في خانة البحث في أي من المتجرين ستجد تنوعًا كبيرًا بين هذه التطبيقات، كما يحفل الإنترنت بالعديد من القوائم التي تحدد أفضل تطبيقات وألعاب الواقع المعزز، كل ما عليك هو إحضار هاتفك الذي يدعم التطبيق وتحميل أي من هذه التطبيقات والألعاب وتجربتها.

إلى ذلك، لا تقتصر استخدامات الواقع المعزز على التسلية والترفيه، إنما تنسحب أيضًا على عدد آخر من المجالات، كالتعليم والبرمجة والرسم والصناعة والسياحة وغيرها.

ولأن لكل تكنولوجيا إيجابياتها وسلبياتها، فإن تكنولوجيا الواقع المعزز تواجه عددًا من التحديات، منها: انتهاك الخصوصية، وتحديدًا في التطبيقات والألعاب التي تعتمد على تحديد المواقع الجغرافية، كاللعبة الشهيرة Pokemon go، التي واجهت انتقادات واسعة في هذا السياق. حيث أودت بالبعض الى أماكن مجهولة، وسمحت باختراق خصوصية الكثيرين، من خلال استعمال الكاميرا وتحديد المكان الجغرافي، مما دفع بعض الدول الى اتخاذ قرارات بمنع استعمال اللعبة على أراضيها .

كذلك الأمر فإن الكثير من الأجهزة التي تدعم تكنولوجيا الواقع المعزز لا زالت باهظة الثمن مقارنةً بالأجهزة العادية، مما يحرم الكثير من المستخدمين من فرصة تجربتها والاستفادة منها.

بين مؤيد ومعارض، لا يمكن إغفال الفوائد الكبيرة لهذه التكنولوجيا، لكن المهم ألا نسيء استخدامها، ونبالغ في ذلك إلى حد الإدمان، بحيث نفتقد رؤية العالم كما هو، ونصر على رؤيته من خلال نظارة، تعيد برمجة عقولنا لنرى ما حولنا بصورة مختلفة.

علي زين
إعلامي ومتخصص في التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي

السوق الرقميّ، سوقٌ معمور...

حسين عمار

هل سيأتي اليوم الذي نسلك فيه طرقاتٍ دون لوحات إعلانات؟

إذا كنت تملك أهمّ المتاجر في سوقٍ ما، ثم ظهرت حركة نزوحٍ متزايدةٍ باتّجاه سوقٍ آخر، لن يبقى بعد فترةٍ من يقف أمام واجهة متجرك الرائع.

لا بدّ لك من أن تسوّق بضاعتك حيث يكون زبائنك، وتذكّر دائمًا ما هي صنعتك لتعرف من سيهتمّ بها. أيًّا كان ما تريد إيصاله للناس عليك أن تجدهم أوّلًا، أكان منتَجُك فستانًا أو أثاثًا أو برنامجًا، أو حتى كتابًا أو فيلمًا... بل أكثر من ذلك، هناك ما بات يُعرف اليوم بتسويق المضمون Content Marketing.

اليوم، في العام 2018، أو قبل ذلك بكثير حتّى، قد ينسى الواحد منّا بطاقة الهويّة أو رخصة القيادة في المنزل، لكنّ أحدًا لن ينسى هاتفه. وإذا حصل وَنَسيَه، سينزل من الباص ويعود ليحضره. إذا لم يرَ الناس ما تقدّمه على هواتفهم، فاعلم أنّك ما زلت في السوق المهجور!

لو علمت أن انتقالك إلى السوق الجديد ليس بالأمر المكلف، فهل ستتردّد؟

التسويق الرقميّ أقلّ كلفةً بكثير من التسويق التقليديّ، والسبب هنا هو منطق «إربح أقلّ لكن بكميّة أكبر». لقد قرأت في مقال[1] نشره موقع Venturebeat المتخصّص في تكنولوجيا المعلومات أنّ هناك 60 مليون مؤسسةً تجاريّةً تملك صفحةً على موقع «فايسبوك»، أربعة ملايين صفحة منها تُسوّق بفعاليّة.

مجتمعات السوق الرقميّ

تبني منصّات الإعلام الاجتماعيّ والتطبيقات الذكيّة حول نفسها شبكةً من الجماعات التي يتمتّع كلٌّ منها بخصائصه وصفاته. يختلف مجتمع فايسبوك مثلًا عن مجتمع تويتر. وهذا ما صُمّمت هذه المواقع على أساسه ليصبح لكلٍّ منها روّاده.

المكان الأمثل لاستهداف المراهقين والأحداث على سبيل

1- Ken Yeung, https://venturebeat.com/201627/09//facebook-60-million-businesses-have-pages-4-million-actively-advertise/

المثال هو إنستاغرام، بينما يغلب الطابع النخبويّ على جماعة مستخدمي التويتر، في حين يشغل فايسبوك المساحة الأكثر تنوّعًا واتّساعًا بين كافة خلايا المجتمع المجازيّ.

وعليه فإنّ شركة فايسبوك هي الخيار الأوّل لاعتماد التسويق الرقميّ.

هكذا أنت، عليك أن تبني مجتمعك الصغير، الذي يضمّ الأشخاص المتشابهين الذين يهتمّون لما تقدّمه، أولئك الذين سيعتبرون أنفسهم جزءًا من هذه المؤسّسة وسيصرفون مالهم لديك بكلّ سعادةٍ وثقة. إمنحهم مساحةً تميّزهم عن غيرهم، وأعطهم سببًا ليدافعوا عنك كما يفعل مستخدم Apple، الذي قد يقبل منك أن تشتم بلده في حين أنّه قد يضربك لمجرّد انتقاد هاتف iPhone الجديد!

من أين تنطلق؟

لا ترمِ سلعتك في وجه من لا يهمّه أمرها! ولا تفكّر للحظةٍ بأنّك قادرٌ على تحويل جميع مستخدمي فايسبوك إلى «زبائن». باختصار، لا تخدع نفسك...

عليك أن تتعرّف إلى منتجك جيّدًا، والأصحّ أن تتعرّف عليه قبل إنتاجه حتّى، وعندما تجد الإجابة على الأسئلة التالية ستقطع أكثر من نصف الطريق في عالم التسويق الرقميّ:

لماذا؟ أين؟ متى؟

لماذا سيشتري الناس منك أنت لا سواك؟ إذا لم يكن لمنتجك ميزةٌ خاصّة فجِد له، ابحث عن الإضافة التي ستقدّمها، أخبرهم قصّتك. أين يتواجد من سيهتمّ لهذه القصّة؟ شخّص هذا النطاق جغرافيًا واجتماعيًا وديموغرافيًا. متى سيحتاج هؤلاء إلى الاستماع إليك ومتى سينتظرونك؟

من هو المستهدف من منتجك؟

كم عمره؟ ما هي صفاته؟ نمط حياته؟ ما هي اهتماماته؟ ليس هناك سلعة أو مشروعٌ يناسب جميع الناس ويوافق كلّ مشاربهم، كلّما كانت دائرة مستهدفيك أصغر وجدت آذانًا صاغية أكثر.

ما هو مقدار الطلب الذي باستطاعتك تلبيته؟

لا بأس أن ينتظر الناس عند باب متجرك، هذا أمرٌ رائع، بشرط أن لا تدعوهم أنت للانتظار.

> **التسويق الرقمي** أقلّ كلفة بكثير من التسويق التقليدي والسبب هنا هو منطق "إربح أقلّ لكن بكميّة أكبر".

كم تريد أن تنفق على التسويق الرقميّ؟ وإلى متى؟

لا تنجرّ خلف التطورات واتبع خطّتك. حدّد المبلغ الذي تريد صرفه وتميّز بالصبر. فقد يمضي شهران دون أن ترى شيئًا، وهذا أمرٌ طبيعيّ.

إطلالة على آليّات التسويق عبر الفايسبوك

سأتناول موقع فايسبوك كمثال لكونه الشبكة الاجتماعية الأكثر انتشارًا، إضافةً إلى كثرة الخيارات التي يقدّمها في هذا المجال.

بوّابات التسويق عبر الموقع المذكور هي التالية:

الصفحات: هي بمثابةِ حسابٍ على الفايسبوك يمكنه تمثيل شخصيّةٍ معنويّة، كمؤسسةٍ أو جمعيّةٍ أو حملةٍ أو نشاط.

المجموعات: خلايا للدردشة ومشاركة المواد ضمن مجموعةٍ محدّدة من الأفراد.

التطبيقات: برمجيّات مستقلّة يتم ربطها بموقع فايسبوك، وتُعتبر خيارًا متقدّمًا.

المناسبات المنظّمة والحملات: تُعتمد للترويج لحدثٍ أو نشاطٍ مجازيٍ أو واقعيّ، ويمكن من خلاله مشاركة المنشورات على أنواعها.

الإعلانات وسياسات النشر المدفوعة: الوسيلة الأكثر فعاليّةً للوصول إلى الجمهور المستهدف، وتتمتّع بالمرونة العالية والنتيجة المجدية إذا أحسنت استخدامها.

فلا داعي لأن تدفع إذا أردت الترويج لمؤسّستك أو منتجك ببطء، أما إذا أردت خوض منافسةٍ حقيقيّةٍ - وهو ما تعتمد التسويق من أجله - فعليك أن تبذل بعض المال.

لكن قبل كلّ ذلك، لا بدّ لك من قاعدة تنطلق منها في خطة التسويق، ستحتاج «واجهةً» مجازيّةً لمتجرك تتيح للزبون أن يتعرّف عليك ويسمع «قصّتك». ما أتكلّم عنه هو صفحة الفايسبوك، لا تقع في الخطأ الشائع وتنشئ حسابًا شخصيًا لعملك لأنّك ستفقد خصائص المؤسّسة التي يقدّمها فايسبوك للصفحات.

صفحة الفايسبوك

في ما يلي، بعض الأمور الأساسية التي يفضّل أن تراعيها عندما تنشئ الصفحة:

لا تجعل من اسم الصفحة ملخّصًا عن مجال عملك، هناك مكانٌ مخصّص لكلّ معلومة.

اختر اسمًا مناسبًا لحساب الصفحة يسهّل على محرّك البحث إظهارها ضمن النتائج (اسم الحساب معلومةٌ ثانية غير الاسم الظاهر).

حدّد مجال عملك بشكلٍ صحيح، لأنّه أحد المعايير التي يصنّف المستخدم ما يراه أمامه وفقها.

ضع صورة حساب وصورة غلافٍ بتصميمٍ جميلٍ وجذّاب، لأنّ العنصر البصريّ هو المحفّز الأول. وإذا كنت تثق بشعار مؤسّستك فلا تتردّد في اعتماده.

لا تُخفِ بيانات التواصل عن المستخدم، كالعنوان ورقم الهاتف وما إلى ذلك، لكيّ يتأكّد بأنّك حقيقيّ.

استثمر خانتي الوصف والوصف التفصيليّ بشكلٍ جيّد لتخبر الناس من أنت وماذا ستقدّم لهم.

بعد أن أصبحت تملك صفحتك الخاصة، يمكنك الآن أن تفكّر في سياسات التسويق الأخرى، فمهما اعتمدت من هذه السياسات لا بدّ للزبون من مكانٍ يرجع إليه للاطّلاع على كلّ موادك وهي مصنّفة ومجموعة في مكانٍ واحد.

> لا تقع في الخطأ الشائع وتنشئ **حسابًا شخصيًا** لعملك لأنك ستفقد خصائص المؤسسة التي يقدّمها الفيسبوك للصفحات.

المفاتيح الآن بين يديك، تعرّف أكثر على سياسات التسويق الرقميّ التي وردت في هذا المقال، وتأكّد أن تصرف مالك عن دراية واطّلاع كي تحصل على النتيجة المرجوّة وتحقّق أهداف الخطة التي رسمتها.

حسين عمّار
كاتب وخبير برمجيات

بريشة: فرح الحاج دياب

قراءة في كتاب
«وَهمُ الإلحاد»
لمؤلفه د. عمرو شريف

محمد تهامي ذكير

بين يدي الكتاب: الإلحاد ظاهرةٌ قديمةٌ مُتجدِّدة:

الإلحادُ، أي إنكار وجود الخالق والمدبر للكون، ليس ظاهرةً جديدةً أو مترابطةً بتطور العلوم في الحضارة الغربية المعاصرة، وإنما - عبر التاريخ وإلى الآن - وُجدَ من يُنكر وجود الخالق (عز وجل)، ويرفض دعوة الأنبياء للإيمان بالغيب.. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، وهو يتحدث عن فئة من الناس، ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ [الجاثية: الآية 24].

وهؤلاء الدهريون - حسب القرآن - يتّصفون بالجهل، ﴿مالهم بذلك من علم﴾، ويعتمدون على الظن، ﴿إن هم إلا يظنون﴾. والإشارة إلى الظن قد تعني وجود معارف وأفكار وآراء ونظريات وشبهات، يرتكز عليها هؤلاء الدهريون المُنكرون لوجود الخالق وعالم الغيب، لكنها معارف ظنية، والظن كما هو معلوم يدل على التردّد بين الوجود وعدمه، والشك وعدم اليقين..إلخ، لذلك يؤكد القرآن على حقيقة ﴿إنّ الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ [يونس: الآية 36].

وظاهرة الإلحاد التي واجهها الأنبياء ودُعاة الإيمان عبر العصور، لا تفتأ تتجدّد كُل حين، ومع ظهور الحضارة الغربية وما حققه العلم فيها من اكتشافات مذهلة، جعلت ظاهرة الإلحاد تُطلُّ برأسها من جديد، على يد بعض علماء الطبيعة والفلاسفة الماديين، الذين سينطلقون من بعض النظريات والفرضيات العلمية للترويج للإلحاد ومُعاداة الإيمان بالله والأديان..

وكما وُجدَ من رَدَّ على ملاحدة الأزمنة السابقة، فقد تصدّى عددٌ من العلماء والمفكرين لملاحدة هذا العصر، فناقشوا أدلتهم، وفنّدُوا شبهاتهم، بالعقل والعلم أيضًا، وكشفوا تهافت نظرياتهم وما يرتكزون عليه من ظنون لإثبات الإلحاد..

من هنا يأتي هذا الكتاب «وهم الإلحاد»، لمؤلفه الباحث المصري الدكتور عمرو شريف، كمساهمةٍ في الرّد على شبهات الملحدين،

وللوقوف في وجه موجة الإلحاد، التي بدأت تجتاح بعض الأوساط الفكرية والشبابية، في عالمنا العربي والإسلامي، نتيجة الغزو الثقافي والعولمة، والحرب الناعمة، التي يشنُّها الغرب على الأديان بشكل عام، على الإسلام على وجه الخصوص.. (ص 9).

وَهْمُ الإلحاد: بيتُ العنكبوت!!

هذا الكتاب يُقرأ - فعلًا - من عنوانه، واختيار المؤلف لكلمة "وهم" لوصف الآراء والنظريات، التي يرتكز عليها الملاحدة لإنكار وجود الخالق والبعث وعالم الغيب بشكل عام، هذا الاختيار لا يخلو من دلالة ذكية، وإشاراتٍ عميقة الأثر، فالوهم هو شكلٌ من أشكال التشوّه الحسي، أو تفسيرٌ سيّئٌ أو خاطئٌ للحوادث والوقائع الموضوعية، يُؤدّي حتمًا إلى فساد التصور والاعتقاد!؟

وهذا بالفعل واقع الإلحاد المعاصر، حيث يُعاني دعاته من اضطراب وتشويش في الرؤية، وتناقضٍ منهجيٍ في قراءة وتحليل نتائج البحث العلمي وفرضياته ومُكتشفاته..

وإذا كان العنوان يُقدم للقارىء حكمًا مسبقًا على ظاهرة الإلحاد بموصفها وهمًا، فإنّ ما يُميز هذا الكتاب، هو إحاطته بمجمل النظريات (الشّبهات) المعاصرة، التي يرتكز عليها الملاحدة اليوم، في محاولة منه للرّد عليها، بمنهجية علمية - موضوعية، جعلته يصل في نهاية المطاف إلى الحُكم عليها بأنها مجرد أوهام، أوهنُ في نسيجها من بيت العنكبوت!؟

فما هي أهم هذه النظريات أو الشبهات؟ وكيف ناقشها وردّ عليها المؤلف؟

أولًا: وهمُ التناقض بين الدين والعلم

يُحاول الملاحدة اليوم إثبات هذا التناقض والاختلاف، للتأكيد على بُعدِ الأديان عن الحقائق العلمية، والادعاء أنّ المعتقدات الدينية هي محضُ أساطير وخرافات، وادعاءاتٌ لا تقف في وجه البحث العلمي وحقائقه التجريبية.. وقد ردّ الكاتب على هذه المغالطات بتساؤلات مهمة، كشف من خلالها تهافت هذه الادعاءات..

ما هي الحقائقُ العلمية الثابتة التي تختلف مع المعتقدات الدينية؟

نعم، إذا كان المقصود بالدين ما يحتضنه التراث الفكري الديني، اليهودي والمسيحي، وتراث عدد من الأديان الوضعية، من خرافات وأساطير، أو موقف الكنسية في القرون الوسطى المعادي للعلم، فإنّ هذه الادعاءات لها ما يُبرِّرها على أرض الواقع..

أما تعميم ذلك الحُكم على جميع الأديان، فهذا غير صحيح، فهذا هو «الإسلام" يدعو المؤمنين به إلى التفكر وإعمال العقل والبحث والنظر في الكون والأنفس: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت: الآية 20]، بل يعتبر التفكر عبادةً كذكر الله: ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [آل عمران: الآية 191].

وفي تاريخ الحضارة الإسلامية، لم يُقتل أو يُعذّب عالِمٌ لاكتشافه قوانين الطبيعة، بل كان العلم مزدهرًا في جميع فروعه. أما إذا وُجد تناقضٌ ظاهرٌ أو اختلافٌ بين العلم والدين، فلن يكون بين حقائق العلم الثابتة وثوابت الدين، وإنّما قد يقع الاختلاف بين بعض النظريات العلمية أو الفرضيات الظنية، وبعض المعلومات الواردة في التراث الديني، التي قد تكون هي الأخرى ظنيةً من حيث مصدرها أو فهمها وتفسيرها!!

من جهةٍ أخرى، كيف يُفسر الملاحدة أنّ النسبة الكبرى من العلماء والفلاسفة - عبر التاريخ وإلى الآن - هم من المؤمنين بالله وبالغيب، وأنّ الملاحدة في صفوف العلماء

والباحثين هم شِرذمةٌ قليلون!؟ وبالتالي، فادِّعاء تناقض العلم مع الدين، أو أنّ العلم ينفي وجود الخالق وعالم الغيب، من أشدِّ أوهام الملاحدة مُخالفةً للعلم والواقع.. (ص57-58).

ثانيًا: الانفجار الكوني الكبير وَوَهْمُ الاستغناء عن الخالق

من أهمِّ ما اتّفق عليه العلماء في الغرب اليوم، وعلى رأسهم ستيفن هوكينغ الفيزيائي المشهور، أنّ العالم ليس أزليًا بل حادثًا، له بداية وهو في تمددٍ مستمر (ص 59). وأنّ البداية كانت مع الانفجار العظيم، لما أطلقوا عليه اسم "المفردة Singularity"، ومن هذا الانفجار تكوَّنت المجرات والكواكب والأرض، وبدأ الزمان..

لكن اختلفوا في الإجابة على أسئلةٍ مهمة، ما مصدر هذه "المفردة" التي ظهرت من العدم؟ ولماذا انفجرت في تلك اللحظة التي انفجرت فيها؟ وما مصدرُ قوانين الطبيعة التي وجَّهت نشأة الكون؟

ستيفن هوكينغ مثلًا يرى أنه «طالما أنّ للكون بدايةً، فإنّ دور الخالق واضح..»، لكن إذا كان الكون مكتفيًا بنفسه بشكل كامل، وليس له حدود أو حواف، بدون بداية أو نهاية، فإنّ الإجابة تبدو غير واضحة، فما هو دور الخالق؟

وهنا تظهر المغالطة، حيث الاتفاق في المقدمات (للكون بداية)، ويقعُ الاختلاف في النتائج أو الفرضيات الجديدة، التي تحاول تفسير هذا الضبط الدقيق في نشأة الحياة والغائية الواضحة في جميع تفاصيله، حيث افترض هوكينغ وغيره، وجود قانون الجاذبية وقوانين أخرى، التي جعلت الكون يخلقُ نفسه بنفسه، وهنا يُطرح السؤال الذي لا إجابة علمية أو منطقية عليه، كيف تُوجد قوانين سابقةٌ على الكون؟! وكيف نُفسر الغائية التي تحكم الكون؟ ومن وضع هذه القوانين الصارمة والدقيقة؟

وهذا التساؤل كان القرآن الكريم قد طرحه من قبل، بقوله: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ [الطور: الآية 35]، ﴿إن ربكم هو الخلاق العليم﴾ [الحجر: الآية 86].

فلا عبث ولا صُدفة ولا عشوائية، ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ [الدخان: الآية 38]، ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ [الحجر: الآية 19].

وإذا قال الملاحدة «إنها الصُّدفة»، نقول لهم: عندما تتكرر الصدفة بلايين المرّات، أَلا تُصبح قانونًا وسُنّةً، وراءها غاية وهدف، وخالق مُدبر حكيم وضعها!!.

كُل ذلك، ونحن نتحدث عن «نظرية» الانفجار العظيم، أو الكبير، «نظرية»، وليس حقيقةً مطلقةً مُجمعٌ عليها، فلا أحد يعلم علم اليقين كيف بدأ الخلق ومتى؟ والقرآن الكريم يُشير إلى ذلك قائلًا: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض﴾ [الكهف: الآية51].

ثالثًا: تطورٌ عشوائي أم خلقٌ في أَحْسَنِ تقويم؟

بعد قرون عن ظهور نظرية التطور، على يد العالم البريطاني الشهير دارون، فإن هذه النظرية التي لم تَرْقَ إلى مصاف الحقيقة العلمية المطلقة، تُعاني من أزمة. وأنصارها عاجزون عن الإجابة على عشرات الأسئلة المطروحة على أركانها الثلاثة: الأسلاف المشتركة للكائنات، الطفرة العشوائية، والانتخاب أو الانتقاء الطبيعي، لأنّ مليار طفرةٍ عشوائيةٍ إذا كان بمقدورها

أن تُوجد لنا إنسانًا «ذكرًا» من خلية واحدة، يساعدها قانون الانتخاب الطبيعي، فكم نحتاج من مليار طفرةٍ أخرى لإيجاد إنسانٍ "أنثى"؟

وكيف اتّخذت هذه الطفرة العشوائية مسارًا غائيًا في صالح الكائنات الحية على الأرض بشكل عام؟ وفي صالح الإنسان على وجه الخصوص؟

الجوابُ المنطقي والعقلاني الوحيد، هو ما نجده في القرآن واضحًا عندما يتحدث عن الإنسان (آدم)،

الذي خُلق في أحسن تقويم، ليكون خليفةً لله في الأرض، وقد سخّر له ما فيها ليُحقق أهداف هذا الاستخلاف وغاياته..

الخلق: ﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: الآية 4].

الاستخلاف: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: الآية 30].

التسخير: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ [الجاثية: الآية 13].

ضريبة وَهمِ الإلحاد

وهكذا يمضي الدكتور عمرو شريف في مناقشة أوهام المُلحدين، هادمًا صروح الإلحاد، المُؤسسة على أوهام، كالسراب بقيعة، يحسبها الضمآن ماءً..!! ينقض أوهام الملاحدة وهمًا وهمًا.. فالإيمان الديني الصحيح والنقي ليس أعمى، بل هو الهداية عينها، طمأنينة النفس وسكينة الروح ونعيمها في الدنيا والآخرة.. والعلم والبحث العلمي، الذي ادُّعِيَ أنه سيكشف قوانين الوجود جميعها، وسيقدم للبشرية الحقيقة المطلقة بعيدةً عن الأديان، هذا العلم يتخبط اليوم وبعد خمسة قرون في نظريات ينقضُ بعضها بعضًا، ولم يتمكن «كهنةُ كنيسةِ العلم» من تقديم رؤيةٍ واضحةٍ أو متكاملةٍ عن الكون والإنسان!!

وها هي الحداثة وما بعدها قد انتهت باعتناق نسبيةٍ غامضة، فاقدةٍ للمعنى والهدف، ضاع معها العقل البشري في تفاصيل الجزئيات، وكهوف الرغبات والشهوات الحيوانية!!

وإذا كان الدين خطيراً، كما يدّعي الملاحدة اليوم، لأنه يؤدي إلى العنف والحروب، فالعلمانية المادية اليوم والرأسمالية المتوحشة هي من يصنع الحروب، ويدمر الحياة على هذا الكوكب الصغير، بالتلوث والاستغلال المُفرط لثرواته الطبيعة..!!

وأخيرًا، إذا كان الإلحاد وأهله قد تسبّبوا في إبادة وقتل الملايين من البشر، لفرضه بالقوة على المؤمنين (ص 114)، فإنّ المؤمنين وعلماء الإيمان على وجه الخصوص مُطالبون بفتح حوار مع هؤلاء الملاحدة، لمواجهة ظاهرة الإلحاد التي تجتاح بعض مناطقنا.. بقوة المنطق والحوار، وتقديم الأدلة والبراهين العقلية والعلمية. والتصدي لتحريف الأديان الإلهية، وقيمها السمحة والمتعالية، من طرف بعض السُّذجِ من أتباعها، أو استغلالها من طرف رجال السياسة والسلطة..!!

محمد تهامي ذكير
مدير تحرير مجلّة أبحاث ودراسات تربوية – المغرب

مؤسِّس علم الكيمياء
جابر بن حيان

علي الهادي

على نحو ما زالت البشرية تعيش على مائدتهم العلمية، برع المسلمون قبل قرونٍ خلت في تطوير مسيرة المعرفة الإنسانية، وأسهموا في صناعة الحضارة إلى حدّ الابتكار والإبداع. إذ عملوا على تطوير حياتهم في مختلف جوانبها العلمية والسياسية والخدماتية والتقنية، منذ أول بروز الإسلام وسطوع شمسه.

وقد عمل القادة الدينيون في الأمة على دعم حركة التطور العلمي، فنلاحظ مثلاً أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان يحثّ تلامذته على تعلّم العلوم النافعة، والتي يمكن من خلالها تطوير الحياة الإنسانية، ومنهم جابر بن حيان. الذي يعدّ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وتلامذته البارزين. وقد أخذ علومه ومعارفه عنه، وهذه الحقيقة صرّح بها كثير من المستشرقين الغربيين ككارديفوا.

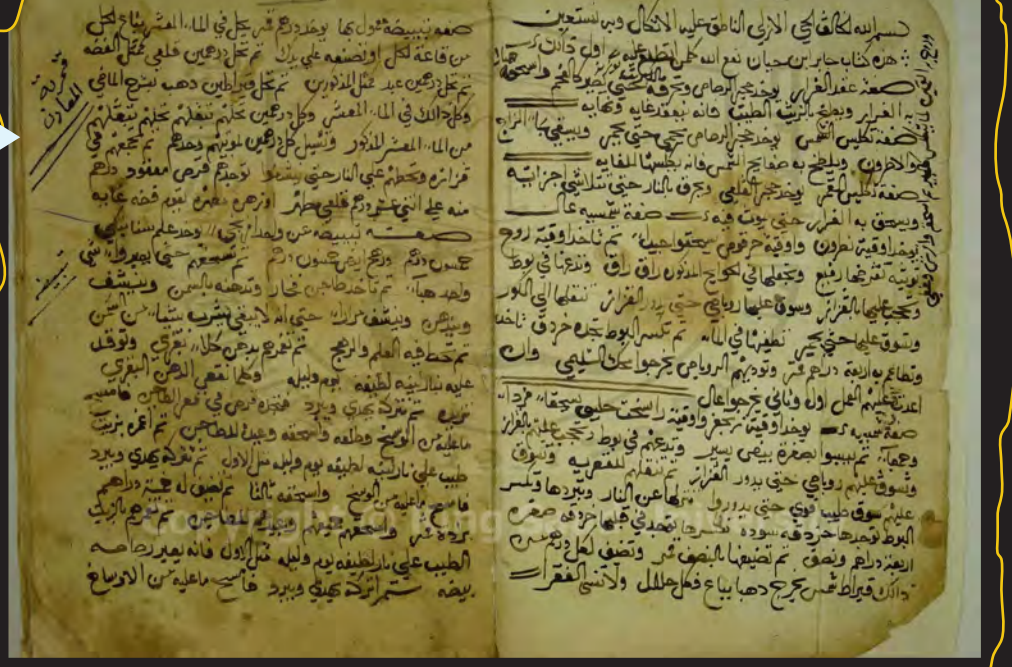

سيرة مشرقة

وهو أبو موسى بن عبد الله الطوسي، الكوفي، المعروف بالصوفي. ولد بمدينة طوس سنة 120 هـ.ق، والمشهور أنّه توفي في سنة 190.

يعتبر جابر من مفاخر علماء الإسلام ومشاهيره مِن مَن برعوا في الفلسفة، والطب، والرياضيات، والفلك، والمنطق، والنجوم. إلى ذلك تمتعت شخصيته ببعد أدبي وأخلاقي، فكان جابر أديباً، زاهداً، واعظاً، وهذه سيرة العالم الحقيقي الذي يقرن العلم بالأخلاق في مسيرة حياته.

انتقل إلى الكوفة ودخل البلاط العباسي في عهد هارون، وكانت علاقته جيدة بالبرامكة، لاهتمامهم بعلم الكيمياء.

مكانته العلمية

اهتم علماء الشرق والغرب بشخصية جابر، اهتماماً بالغاً، فقد ألّفوا كتباً خاصة حول شخصيّته، وسيرته، وإنجازاته العلمية والفكرية، فمثلاً ألّف أحمد بن محمد أبو عبدالله الجوهري كتاباً خاصاً حول جابر.

وقد قام بول كراوس بجمع بعض مخطوطات جابر من مختلف المكتبات الأوروبية، ونشرها في كتاب بعنوان: «مختار رسائل جابر بن حيان»، وألّف مجلدين عنه، وعن مؤلفاته، ومذهبه[1].

أوّلاً: مؤسّس علم الكيمياء[2]:

يقول برتلو Berthelot . M : «لجابر في الكيمياء ما لأرسطو وطاليس قبله في المنطق»[3].

يعدُّ جابر بن حيان الكيميائي الأوّل في العالم، وأوّل واضع لأسس الكيمياء ومدوّنها، وصاحب سرّها، حتى سمّيت باسمه «علم جابر»، فكان عَلَماً عليها كما يقال (أبقراط) على الطب، أو (بطليموس) على الفلك.

وحين اتجهت أوروبا إلى العرب؛ تغترف من بحر علومهم، لم تجد عالماً في الكيمياء كجابر، فاهتموا بكتبه كما لم يهتمّ العرب فيها. واشتهر عندهم باسم Geber، وباللاتينية Geberus، وعني بتحقيق سيرته من الأوروبيين الأستاذ هوليارد في مقالة له نشرها سنة 1923م، وذكره في كتاب له وهو الكيمياء، الصادر سنة 1957م، في سلسلة بليكان الانكليزية. وأيضًا في كتبٍ أخرى.

كان منزل جابر مختبراً علميّاً كما يذكر هوليارد. ويذكر بأنّه قد عُثر على معمل جابر أثناء الحفر في أنقاض منازل في الكوفة منذ قرنين من الزمن. وقد كان أشبه بالقبو، وبعيد عن الأعين، ووُجد فيه: قوارير، وموقد، وأفران، وهاون، وميزان، وأجهزة تقطير إلى جانب كثير من الأدوات، فكانت ما يقرب من أربعين جهازاً وأداة.

ثانياً: علم النجوم والفلك:

كان جابر من أشهر علماء زمانه في علم النجوم والفلك، وكان بارعاً عارفاً بأسرار هذا العلم، وقد دوّن العديد من الكتب حول الشمس والقمر والنجوم، وابتكر أموراً لم يسبقه إليها أحد. وكان بارعاً في علم

1- راجع: ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص56/ ابن النديم البغدادي، فهرست، ص420/ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء آخر الزمان، ج1، ص327/ الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال، ص173/ عبد الحسين الشبستري، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق(ع)، ج1، ص278/ الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص277.

2- يعبر عن الكيمياء في الكتب القديمة التي ترجمت لجابر «بالصنعة».

3- الزركلي، الأعلام، ج2، ص104

الطلسمات، وتأثير النجوم والكواكب. وله في مدينة مصر مؤلّفًا في عمل الأصطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظيرله، وعثرله السيد ابن طاووس على مؤلّف في علم النجوم.

ثالثاً: علم الطب:

جابر الكيميائي هو أيضاً طبيبٌ حكيم. ألّف في علم الطب ما يقارب 500 كتاب، وكان يدخل إلى البلاط العباسي، ويعالج كبار رجالات الدولة من الحكام والوزراء. وقد نقل جابر العديد من الروايات الطبيّة عن أستاذه الإمام جعفر الصادق، وبدوره نُقل عنه الكثير منها أيضًا.

براءة اختراع وابتكار

نتج عن الشخصية التي تميّزبها جابر الكثير من الإنجازات العلمية التي لا تزال موضع استفادة البشرية حتى اليوم. مستحقًا بذلك جائزة الابتكار العلمي ومن أهم انجازاته العلمية أنه:

أرسى قواعد العلم التجريبي، ورسم له منهجه، وحدد موضوعه.

وضع نظرية تركيب المعادن، ومفادها أن المعادن جميعها مؤلفة من عنصرين أساسيين، هما الكبريت والزئبق.

ابتكر علم الموازين، فقد جعل لكل جسد من الأجساد موازين خاصة بطبائعه.

استحضر «حامض الكبريتيك»، و«حامض النتريك».

كشف «الصودا الكاوية».

استحضر «ماء الذهب»، وأدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الحامض.

لاحظ ما يحدث من راسب «كلوريد الفضة» عند إضافة محلول ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة.

أشار إلى طبقات العين، فسبق بذلك يوحنا ابن ماسويه المتوفّى سنة 243 هـ، وسبق حنين بن إسحاق المتوفّى سنة 264 هـ.

وصف أعمال التقطير والتبلور والتذويب والتحويل.

استحضر مركبات أخرى، مثل: كربونات البوتاسيوم، وكربونات الصوديوم، وقد استعمل ثاني أكسيد المنغنيز في صنع الزجاج، ودرس خصائص الزئبق ومركباته واستحضرها، واستعمل بعضها، فيما بعد، في تحضير الأوكسيجن.

أحيوا التراث العلمي لجابر!

ألف جابر وصنّف في شتى العلوم: المنطق والفلسفة، الزهد والمواعظ، وعلم الطب الإنساني، والطب الحيواني، وعلم النبات، وعلم الفلك، وعلم الأحجار، والأملاح، والسموم، والحيل، وصنائع مجموعة وآلات الحرب، وله كتب كثيرة في علم الكيمياء ككيمياء المعادن وعللها، وكتاب التدابير، وغيرهم.

وعُدّت مؤلفاته فكانت ما يزيد على 3900 كتاب. بعضها تشتمل ألفي ورقة وبعضها الآخر على ألف، وأشار في كتبه إلى رسائل الإمام جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة في الكيمياء.

إلى ذلك ألّف ابن حيّان أكثر من ثلاثة آلاف رسالة في العلوم الطبيعية. ومؤخّرًا طُبِعَ له رسالة جعفر الصادق في علم الصناعة والحجر الكريم ومعها ترجمة ألمانية. وله مخطوطات كثيرة منتشرة في المكتبات العربية والعالمية.

إن هذا التراث العلمي الذي تركه جابر بين حيان لهو من الكنوز النادرة، والتي يقع على عاتق الباحثين والمحققين السعي إلى إحياء هذا التراث العلمي.

فأحيوا تراث جابر.

علي الهادي
باحث في التاريخ الإسلامي

المحتويات
content

بوصلة	خدمة العقل	زينب عقيل	2
بقعة ضوء	رحلة البحث عن الدين	سامر توفيق عجمي	6
ملف العدد	الدين و التحديات الفكرية عند الشباب	الشيخ حسين زين الدين	9
	الدين سعادة لا بؤس	د. فوزي العلوي	13
	الدين أمن لا خوف	كامل كمال	15
	الدين: الشباب هم قوة التغيير الاجتماعي	جهاد سعد	18
	قائد النفس البشرية	خاتم بن حسين	21
ضيف وتجربة	مقابلة مع العلامة محمد حسين الصغير	محمد حميد	23
تربية	الاختصاص الجامعي: إختار ولا تختار	فرح الحاج دياب	28
	عندما يلعب الطفل على التناقضات بين الوالدين	محمد باقر كجك	32
تنمية	كيف تصبح شخصية مبادرة في 7 خطوات	خضر فرحات	36
	عباس دياب: مطور برنامج المايكروسوفت	فاطمة سلمان	39
أدب وفن	واستقرّت روحي	مريم ميرزاده	41
	مقالة نقدية لقصة زهرة بانسيه	سلوى صعب	44
	فيلم بروموثيوس	حيدر الكعبي	48
	محطات العمر	فضل سرور	52
مصطلح ومعنى	دولة الرفاه	هادي قبيسي	53
تكنولوجيا	تكنولوجيا الواقع المعزّز	علي زين	56
إنترنت	السوق الرقمي، سوق معمور	خضر فرحات	58
قراءة في كتاب	وهم الإلحاد	محمد تهامي ذكير	62
إسهامات حضارية	مؤسس علم الكيمياء: جابر بن حيان	علي الهادي	66

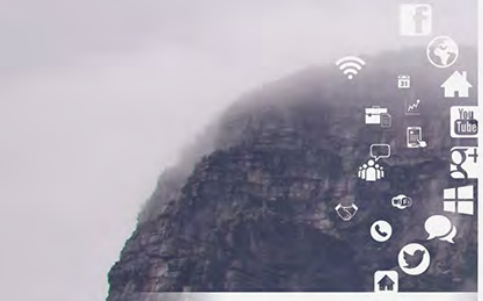

للتواصل

Email: Among.shabab@gmail.com
Whatsapp: 09613835051
telegram: t.me/maashabab
website: maaalshabab.iicss.iq
facebook: @maaalshabab
twitter: @maaalshabab
instagram: maaalshabab